

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل



انقلاب

١٠١

تأليف تلييل فازوق

www.lilias.com/vb3

eman

تأليف
المؤسسة العربية الحديثة
طبعة ٢٠٠٢



د. نبيل فاروق

رجل

المستحيل
سلسلة
روايات
برو ليبيسيه
للمشبه باب
زائفة
بالأحداث
المشيرة

انقلاب

- ما المطلوب الخاص ، الذي قنعه مدير
- مخابرات (باراجواي) ، إلى
- المخابرات المصرية !!
- من اغتال رئيس جمهورية
- (باراجواي) ؟ وكيف تورط
- (أنهم) في هذا الأمر ؟
- ثرى هل يمكن أن يتجو (أنهم) من
- هذا المأزق ، أم أنه يحتاج إلى
- (انقلاب) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقابل مع
- (رجل المستحيل) .



eman

تتبع في مصر

١٥٠

وما يعافله بالدوائر
الأمريكي في سائر
الدول العربية

العدد القادم : نهر الدم

www.liilas.com/vb3

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه نفة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسمم إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى القواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة. لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة تلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. تبديل فازوق

١ - الرجل ..

لا يمكننى أن أصدق هذا .. .
هتف مدير المخابرات العامة المصرية بالعبارة، فى حلق واضح، وهو يجلس فى مكتب رئيس الوزراء، ولوح بكفه فى حدة، وهو يستطرد:
- (أدهم صبرى) يجلس خلف مكتب، مثل أى موظف إدارى .. معذرة يا سيادة الوزير، ولكننى أعتقد أن هذا القرار يفترق كثيرًا إلى الحكمة.
- بدا الضيق على وجه رئيس الوزراء، وهو يقول:
- إنك تتحدث كما لو أن هذا نوع من العقاب .. الواقع أن (أدهم صبرى) قد حصل على ترقية، عندما صدر القرار بتوليته رئاسة قسم العمليات الخاصة، ثم إن عمره يقترب الآن من الأربعين، وهذا المنصب يناسبه تمامًا.
أجابه مدير المخابرات فى سخط:
- بالنسبة لـ (أدهم صبرى)، الابتعاد عن العمليات الخارجية هو أشنع عقاب ممكن .. صدقنى يا سيادة الوزير .. المجال الوحيد الذى يصلح لهذا الرجل، هو العمليات الخارجية غير التقليدية.

تطلع إليه رئيس الوزراء لحظة في غضب ، ثم اندفع
يقول :

- من الواضح أننا لا نتحدث عن الرجل نفسه ؟ فأنت
ما زلت غارقاً في تاريخ قديم ، وأنا أتحدث عن واقع
ملموس .. (أدهم صبرى) هذا ، الذى نتحدث عنه كما لو
كان أسطورة ، لم يعد سوى رجل محطم ، زلزلت الأحداث
الأخيرة كيانه ، ونفضته في عنف ، حتى لم تعد داخله قوة
تكفى ، لقتال مدرب (جودو) (*) متقاعد .. هل نسيت
ما عاناه في مغامرته الأخيرة ؟ .. لقد أصيب صديق عمره
(قدرى) بعاهة مستديمة في يده ، وزميلته (منى
توفيق) تحتضر تقربنا ، فى أحد مستشفيات
(أمريكا) ، ومعاونته (حسام) تلقى مصرعه ، وتلك
الإسرائيلية التى تزوجها يوماً (**) ، انتحرت ونسفت
نفسها مع ابنه أمام عينيه (***) .. ما الذى يمكن أن

(*) الجودو : رياضة يابانية ، لا تتطلب قوة عضلية كبيرة ، بل تعتمد
على تطبيق الأسس التشريحية للجسم ، وتعتبر رياضة (الجودو) برنامجاً
أساسياً لقوات الدفاع وشرطة ، لأنها تساعد المرأة على التغلب على خصم
يلفقه قوة ، أو مسلح ، وهى ضمن الألعاب الأولمبية ، وتم إدراجها عام
١٩٩٤م فى (طوكيو) .

(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

(***) راجع قصة (الضربة القاسية) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

تتوقعه من رجل عانى كل هذا ؟ .. إنه بشر أيها المدير ..
مجرد بشر .. حاول أن تترك هذا .
قال المدير فى حزم :

- (أدهم صبرى) ليس مجرد رجل عادى .. أعلم أنه
عانى الكثير .. بل لقد احتمل أكثر مما يمكن أن يحتمله
بشرى ، فزميلته (منى) ، التى تحتضر الآن فى
(أمريكا) كما تقول ، لم تكن مجرد زميلة .. إنها الأنتى
الوحيدة ، فى العالم أجمع ، التى خفق قلبه بحبها ، ثم إنه
شاهد مصرع ابنه الوحيد بعينه .. هذا يكفى بالفعل للتحطيم
أى رجل عادى .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يضيف :

- ولكن ليس (أدهم) .

لوح رئيس الوزراء بيده ، وهتف :

- هأنذا تعود للتحديث عنه وكأنه أسطورة حية .. هل
تعلم أننا عرضنا ملفه كله على مجموعة من كبار الأطباء
النفسيين ، فأوصوا بتقاعده ؟

قال مدير المخابرات فى حزم :

- هذا لأنهم لا يعرفون (أدهم صبرى) .
صاح رئيس الوزراء فى حدة :

- إنهم خبراء فى مجالهم .

كرّر المدير فى إصرار :

- ولكنهم لا يعرفون (أدھم) .

ثم نهض من مقعده ، وعدّل وضع رباط عنقه فى حسم ،

وهو يقول :

- أما أنا فأعرفه جيّداً ، وأعرف أنه من الممكن أن

يتحطم لوح من الصلب ، تحت ضربات المطارق

المستمرة .. الصلب نعم ، ولكن ..

وعاد حاجباه ينعدان فى شدة ، وهو يضيف :

- ليس (أدھم صبرى) .

نهض رئيس الوزراء من خلف مكتبه بدوره ، وعقد

كفيه خلف ظهره ، وسار فى بطء حتى نافذة مكتبه ،

وتطلّع عبرها لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- لا يمكننى أن أخاطر .

ثم التفت إلى مدير المخابرات ، مستطردّاً :

- إنها مجازفة كبرى ، أن أرسل رجلاً مثله فى واحدة

من عمليات المخابرات .

قال المدير فى حسم :

- يمكننى أن أتحمّل المسؤولية كاملة .

لوح رئيس الوزراء بيده نفياً ، وقال :

- دعنا من هذا الآن .. أنا لم أستدعك لتناقش قضية

(أدھم صبرى) .. ثم إن القرارات الخاصة بالمخابرات

العامة تخصّ السيد رئيس الجمهورية وحده .. إننا هنا من

أجل مقابلة عاجلة وسريّة للغاية .

سأته مدير المخابرات فى اهتمام :

- هذا ما أردت أن أسألك عنه .. من هذا الشخص ،

الذى يطلب مقابلة رئيس الوزراء ومدير المخابرات

العامة ، ويصرّ على هذا القدر من السريّة ؟

أجابته رئيس الوزراء :

- إنه مدير مخابرات دولة صديقة .

قال مدير المخابرات فى حذر :

- صديقة ؟

أوماً رئيس الوزراء برأسه إيجاباً ، وقال وهو يهزّ

كفيه :

- إنها ليست دولة معادية على الأقل .

بدت نظرة تساؤل فى عيني مدير المخابرات ، وتكن

رئيس الوزراء انتفت مرة أخرى إلى النافذة ، ووقف يتطلّع

عبرها لحظات فى صمت ، قبل أن يكمل فى المختصّاب :

- (باراجواى) (*) .

ارتفع حاجبا مدير المخابرات فى دهشة ، وهو يقول :

- (باراجواى) ١٢ .. وماذا يريد منا مدير مخابرات

دولة مثل (باراجواى) ؟

أجابه رئيس الوزراء :

- إنه لم يقصص عن مطلبه ، ولكنه فى طريقه إلى هنا ،

وإن نلث أن نعرف كل ما لديه .

ثم يكذب يتم عبارته ، حتى يدخل مدير مكتبه ، وقال :

- وصل السيد (ألبرتو جوانزاليس) ، ويطلب المقابلة

على انقور يا سيادة رئيس الوزراء .

أشار إليه رئيس الوزراء ، قائلا :

- دعه يتفضل بالدخول على الفور يا رجل .. إنه ضيف

رسمى .

لم تمض ثوان معدودة ، حتى دلف إلى الحجرة رجل

نحيل ، متين البنيان ، له شعر أكرت كثيف ، وخط الشيب

(*) (باراجواى) : جمهورية فى (أمريكا الجنوبية) عاصمتها

(أسوسيون) ، تحيط بها (بوليفيا) و (البرازيل) و (أرجنتينا) ، يتركز

سكانها فى الجزء الشرقى منها ، بين نهري (بارانا) و (باراجواى) ، ومن

أهم مدنها (كونسيبيون) ، وهى تشتهر بزراعة القطن ، والتبغ ، والأرز .

وتلفج ، والموايح ، وثلاثة الرسمية فيها هى (الإسبانية)

و (تجورانية) .

فوديه ، وشارب كث ، يمنحه مظهرا قاسيا ، وتبعه رجل
ضخم الجثة ، إلا أنه استوقفه قائلا :

- انتظر فى الخارج يا (بوراندى) .. إنه حديث خاص .

ترجع الضخم صاعرا ، وأغلق الباب فى هدوء ، فى

حين ابتسم (جوانزاليس) ، وقال بالإنجليزية .

- معذرة .. لقد اعتاد حارسى الخاص أن يتبعنى ، فى

كل مكان أذهب إليه .

ثم مذهب يصفح رئيس الوزراء ، مستطردا :

- (ألبرتو جوانزاليس) .. مدير مخابرات

(باراجواى) .

صافحه رئيس الوزراء فى حرارة ، وهو يقول :

- مرحبا بك فى (مصر) يا ستيور (جوانزاليس) ..

كان المفروض أن نستقبلك رسميا ، لولا إصرارك على

ألا يشعر أحد بقدومك .

لوح (جوانزاليس) بكفه ، وقال :

- هذا أفضل يا سيادة رئيس الوزراء ، فالمهمة التى

أتيت من أجلها بالغة التعقيد ، وتحتاج إلى سرية بالغة

بالفعل .

ثم استدار يصفح مدير المخابرات المصرية ، مستطردا

بإتسامة واسعة :

- وأنت نظيرى هنا حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟
أجابه مدير المخابرات فى اقتضاب ، وبلغه إسبانية
سلمية :

- بلى .. يسعدنى لقاءك يا سنيور (جوانزاليس) .
ضحك (جوانزاليس) ، وهو يهتف :
- أنت تتحدث الإسبانية بطلاقة .. عظيم .. هذا سيحل
مشكلات عدم الفهم أو الترجمة من الإنجليزية .
أشار إليه رئيس الوزراء بالجلوس ، وهو يسأله :
- قل لى .. ما مشروبك . المفضل يا سنيور
(جوانزاليس) ؟

جلس الرجل ، وهو يشير بيده قائلاً :
- فيما بعد يا سيادة رئيس الوزراء .. دعنا نناقش
ما أتيت من أجله أولاً .

تبادل رئيس الوزراء نظرة مع مدير المخابرات ، ثم
جلس خلف مكتبه ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يقول :
- فليكن .. هيا .. هات ما لديك .. كلنى آذان صاغية .

اعتدل الرجل فى مقعده ، وقال :
- كلنا نعلم أن العلاقة بين بلدنا مجمدة ، منذ عدة
سنوات ، فلا يوجد تمثيل دبلوماسى رسمى ، ولا علاقات
تجارية ، أو حتى روابط سياسية .

قال رئيس الوزراء فى رصانة :
- وهذا مما يؤسف له .

ابتسم (جوانزاليس) ، وقال :
- اتوقع أننى هنا لتصحيح هذا الخطأ .

عقد رئيس الوزراء حاجبيه ، وهو يتطلع إليه فى
خدر ، ثم مال إلى الأمام وقال :
- بمعنى ... ؟

لوح الرجل بكفه ، وقال :
- بمعنى أننى أحمل أوراقاً رسمية ، لبدء التمثيل
الدبلوماسى بين دولتىنا ، وعندنا من العقود التجارية ،
لاستيراد عشرات المنتجات من (مصر) ، مثل الملابس
وانزويوت ، والصابون ، وبعض المعدات الثقيلة ، وهذه
العقود تبلغ قيمتها مليار دولار كيداية ، وتدعو وفداً من
رجال الصناعة لندىكم لزيارتنا ، وبحث موقف الأسواق
لدىنا ، وفرص الاستثمار المشترك ، و ...
قاطع مدير المخابرات فى حزم :

- مقابل ماذا ؟

اتسعت عينا رئيس الوزراء فى ارتياح ، ورمى مدير
المخابرات بنظرة قاسية ، وكأنه يحتره من الاستطراء ،
فى حين قال (جوانزاليس) فى بطء :

- وماذا ينبغي أن يكون هناك مقابل ؟

أشار رئيس الوزراء بطرف خفي لمدير المخابرات ، حتى لا يدخل في مناقشة مع الرجل ، (إلا أن مدير المخابرات تظاهر بأنه لم ينتبه إلى هذا ، وهو يقول :

- لآنك طلبت مقابلتي ، فلو اقتصر الأمر على طلب مقابلة رئيس الوزراء ، لاقتنعت بأنها عملية تحمين علاقة بين دولتين فحسب ، أما طلب مقابلتي ، فيعني حتمية وجود مقابل لهذا العرض السخي .

ابتسم (جواتزاليس) ، وداعب شاربه الكث بسبابته ، قبل أن يقول :

- من الواضح أنك تستحق منصبك هذا يا رجل .

ثم اعتدل ، وأضاف في حسم :

- نعم .. هناك مقابل لكل هذا .

سأله رئيس الوزراء :

- مقابل من أي نوع ؟ .. هل تطلبون تأييدنا في مجلس

الأمن مثلا ؟

هز الرجل رأسه نفيا ، وقال :

- ليست لدينا مشكلات خارجية في الوقت الحالي ،

ولكننا نعالى في الواقع مشكلة أخرى .. مشكلة أمنية

داخلية .

سأله مدير المخابرات في اهتمام :

- وما طبيعة هذه المشكلة ؟

صمت الرجل ، وراح يداعب شاربه بعض الوقت ، وهو ينقل بصره بين وجهي رئيس الوزراء ومدير المخابرات ، ثم قال :

- لدينا معلومات مؤكدة ، تشير إلى وجود استعدادات خفية ، في قلب جهاز المخابرات ، لاغتيال السيد (بولزا كورتينا) ، رئيس جمهوريتنا ، والقيام بانقلاب خطير ، بغرض الاستيلاء على الحكم ، وقلب نظام الدولة .

تبادل رئيس الوزراء ومدير المخابرات نظرة حذرة ، قبل أن يسأل الأخير (جواتزاليس) في اهتمام أكثر :

- وما صلتنا نحن بهذه المؤامرة ؟

تتهذ (جواتزاليس) ، ولوح بفراعه ، وقال :

- المشكلة أننا نجهل تماما أسماء المشاركين في هذه المؤامرة ، ونخشى أن يكون بينهم بعض القيادات الهامة في المخابرات ، مما يضعنا في موقف شديد الحساسية والحرص ، فلو أننا تحركنا لمنع المؤامرة ، أو التنصت لها ، سينكشف أمر تحركاتنا هذه ، ويغير المتآمرون خططهم ، أو ينتقلوا إلى خطة بديلة ، فنفقد كل الخيوط من بين أيدينا .

سأله مدير المخابرات :

- وما المطلوب منا بالضبط ؟

تراجع (جوانزاليس) في مقعده ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

- قل لي يا عزيزي .. هل قرأت رواية (سجين زلدا) ؟ (*)

قال مدير المخابرات في حيرة :

- نعم .. قرأتها منذ زمن طويل ..

وسأل رئيس الوزراء في حذر :

- ولكن يا سيور (جوانزاليس) .. ما صلة الرواية بحدثنا هذا ومحاولة اغتيال رئيسكم ؟

أجاب الرجل في حماس :

- صلة وثيقة يا سيادة رئيس الوزراء .. أنا أيضا قرأت

الرواية في صباي ، وعندما درست موقفتنا ، وجدت أنها

تناسبنا تماما ، وكل ما نحتاج إليه هو شخص من خارج

(باراجواي) ، لا يعرفه رجالنا ، الذين نشك في وجود

المتآمرين بينهم ، ويمكنه أن يتحلل شخصية الرئيس

(*) سجين زلدا : رواية للكاتب البريطاني (آنتوني هوب) ، يتحلل فيها

البطل (روبن) شخصية ملك (زوريناثيا) ، الذي اختطفه أخوه

غير الشقيق ، ليمتص حضوره حفل التتويج ، ولقد كتب (هوب) روايته هذه

عام (١٩٤٤م) .

(بونزا كورتينا) ، بحيث تساعد طبيعته كمحترف على

إنقاذ حياته ، إذا ما حاول أحدهم اغتياله .

وان الصمت لحظات على المكان ، ثم قال رئيس

الوزراء :

- وهل تعتقد أن هذا يكفي ، لمنع حدوث انقلاب في

دولتك ؟

أجاب (جوانزاليس) :

- خطة المتآمرين تعتمد على اغتيال رئيس الدولة ، ثم

استغلال حالة الفوضى والاضطراب الناشئة ، للسيطرة

على المراكز الحيوية ، مثل الإذاعة وشبكة البث

التليفزيوني ، وقبادة الجيش ، وغيرها ، والقيام

بالانقلاب .. ولو أمكننا منع حدوث الاغتيال ، سنستهار

خطتهم كلها .

قال مدير المخابرات :

- ولماذا رجل من عندنا بالذات ؟

ابتسم (جوانزاليس) ، وقال :

- لأن لديكم الرجل الذي نحتاج إليه بالضبط .. الرجل

الذي يمكنه انتحال شخصية الرئيس (بونزا) ، دون أن

يشك فيه مخلوق واحد .

قال رئيس الوزراء في دهشة :

- عندنا نحن ١٢

أجابه (جوائزليس) فى حزم :

- نعم يا سيادة رئيس الوزراء ، فالواقع أننا لسنا بصدد اختيار عشوانى .. لقد قمنا بتحريرائنا بمنتهى الدقة ، ووجدنا غايئنا لديكم .. إننى هنا لاستعارة أحد رجال مخابراتكم ، لإنقاذ دولتى من انقلاب وشيك ، وهذا الرجل يدعى (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

وبرفت عينا مدير المخابرات العامة المصرية ..
برقنا فى شدة ..
وفى ظفر ..

★ ★ ★



٢ - المهمة ..

يا لها من أيام ، تلك التى يحياها (أدهم) ، منذ معركة فى جزيرة (هيل) ..

كان الحزن والمرارة يملآن نفسه ، وذاكرته تنص .. فى كل لحظة ، على استرجاع تلك اللحظة ، التى ضغطت فيها (سونيا) زر التفجير ، لتنسف نفسها مع ابنه ..

ثم يكن يتصور أنه سيشعر يوماً بكل هذا العذاب فى أعماقه ..

لقد خسر فى معركته الأخيرة كل من يحب ، فيما عدا شقيقه الدكتور (أحمد صبرى) ..

ابنه لقى مصرعه أمام عينيه ، و (حسام) قضى نحبه بدلاً منه ، و (منى) أصيبت إصابات بالغة ، وترقد فاقدة النوعى تماماً ، فى أحد مستشفيات (أمريكا) ، وإلى جوارها يرقد (قدرى) ، الذى حطمت (سونيا) كفه اثمينى ، إلى الحد الذى عرضها لنثير ، لولا تدخل (أدهم) فى اللحظة الأخيرة .. (*)

(*) رجع قصة (نظرية القاصعة) .. المغامرة رقم ١٠٠

وحتى هو ، فقد العمل الذى يعشقه ، وانتقل إلى أعمال الإدارة ، التى طالما استاء منها وبغضها ..
والعجيب أن الجميع يهنئونه على الفوز والنصر ، لأنه الشخص الوحيد ، ضمن أجهزة المخابرات ، فى العالم أجمع ، الذى نجح فى بنوغ وكر منظمة (سناك) ، وتدمير خططها للاستيلاء على العالم ..

ولكنه لم يشعر لحظة واحدة بضعم النصر ..
إنه - على العكس - يشعر بمرارة الهزيمة فى حلقه ،
والمها فى نفسه ، و ...

قطع تسلل أفكاره بغثة رنين جرس الهاتف ، فتحرك فى خفة من موضعه ، إلى جوار اثنا فذة ، والنقط سماعه هاتفه الخاص ، ولم يكذب يضعها على أذنه ، حتى سمع صوت صديقه (قدرى) ، يقول فى رصانة لم يعهدها فيه من قبل :
- أنا (قدرى) يا (أدهم) .. كيف حالك ؟

هتف به (أدهم) فى حرارة :

- كيف حالك أنت يا (قدرى) ؟ .. لقد اتصلت بك منذ قليل ، فأخبرونى أنك تجرى بعض تدريبات العلاج الطبيعى .. كيف حال بك الآن ؟

تنهد (قدرى) تنهيدة حارة ، نقلت خطوط الهاتف نهيبها عبر المحيط ، من (الولايات المتحدة الأمريكية) إلى (مصر) ، قبل أن يجيب :

- لست أشعر بتحسّن واضح هذه المرة .. صحيح أن أصابعى تستطيع الآن التقاط سماعه الهاتف ، ولكن ..
ولكننى أجد صعوبة فى التعرف على البيانو ..
حاول أن ينطق العبارة الأخيرة فى شيء من التمرح ، ولكن حروفها الأخيرة اختنقت فى حلقه ، وبدت أشبه بالنحيب ..

وكان (أدهم) يدرك ما يعانیه صديقه ..
كان يفهم ويشعر بحجم المرارة فى أعماقه ، بعد أن فقدت يده مهاراتها السابقة ، التى صنعت منه أسنًا فى عالم التزوير والتزييف الشرعى ، فى عمليات المخابرات ..

وصمت (أدهم) لحظات ..

صمت : ليمنح صديقه فرصة إفراغ عواطفه ، ثم قال بصوت دافئ حنون :

- كل شيء يمكن إصلاحه يا صديقى .. إنها مسألة وقت

فحسب .

كان من الواضح أن دموع (قدرى) تسيل ، وهو يجيب :
- نعم .. إنها مسألة وقت .

لم يشأ (أدهم) أن يتركه مرة أخرى لأحزانه ، فسأله بسرعة :

- وكيف حال (منى) ؟

أطلق (قدرى) زفرة أخرى حارة ، وأجاب :

- ما زالت غارقة فى تلك الغيبوبة اللعينة ..

ثم هتف فجأة فى انفعال :

- ماذا أصابنا يا (أدهم) ؟ .. ما تلك الموجة العنيفة ،

انتى ابتلعنا جميعا ؟ ..

لقد واجهنا الموت عشرات المرات ، ولكن الخطر كان يحوم حولنا ، دون أن يهوى على رؤوسنا كالصاعقة ، كما حدث هذه المرة .. ماذا أصابنا ؟

ابتلع (أدهم) مرارته ، وهو يجيبه :

- كل شيء يتغير يا صديقى .

مضت لحظة من انصمت ، قبل أن يقول (قدرى) :

- فليكن يا (أدهم) .. أردت سماع صوتك فحسب ..

قل لى : هل ستراك قريباً ؟

أجاب (أدهم) فى حسم :

- قريباً جداً يا صديقى .. لا يمكننى البقاء بعيداً عنك

وعن (منى) طويلاً .

أنهى المحادثة ، وقد تضاعفت كمية الحزن فى

أعماقه ، وتوقفت كقصّة مريرة فى حلقه ، جعلته يتمتم فى

صوت متحشرج :

- نعم .. ماذا أصابنا ؟

لم يكذب ينطقها ، حتى سمع دقات منتظمة على باب

مكتبه ، فاستعاد سيطرته على مشاعره فى سرعة

مدهشة ، وهو يقول :

- من الطارق ؟

دلف ملازم شاب إلى مكتبه ، وألقى عليه اتحية ، قبل

أن يقول فى احترام :

- السيد المدير يرغب فى رؤيتك على الفور يا سيادة

العقيد .

نهض (أدهم) ، وارتدى سترته ، وهو يقول :

- سأذهب إليه على الفور .

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان يدلف إلى مكتب مدير

المخابرات ، الذى استقبله بابتسامة جذلة ، وهو يقول :

- تفضل يا (أدهم) .. سنيور (جوائزائيس) يرغب

فى تبادل حديث قصير معك .

استدار (أدهم) يتطلع إلى الرجل النحيل ، صاحب

الشارب الكث ، والمنظار الداكن ، الذى يبدو متناقضاً مع

طبيعة الإضاءة داخل الحجرة ، ورآه يبتسم وهو يقول

بالإسبانية :

- إذن فانت سنيور (أدهم صبرى) الشهير .

صافحه (أدهم) فى هدوء ، وهو يتفحص ملامحه لحظة فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- وأنت (أليبرتو جوانزاليس) ، أركان حرب جيش (باراجواي) السابق ، ومدير جهاز مخابراتها الحالى . رفع (جوانزاليس) حاجبيه فى دهشة ، ثم أطلق ضحكة عالية ، وهو يقول :

- رائع .. من الواضح أنك موسوعة حية ، فى عالم المخابرات يا سنور (أدهم) .. تمامًا كما أخبرونا عنك . سأله (أدهم) فى سرعة :

- من هؤلاء الذين أخبروكم عنى ؟

ابتسم (جوانزاليس) ابتسامة خبيثة ، وهو يرفع سبائته أمام وجهه ، قائلاً :

- ما من رجل مخابرات يكشف عن مصادره يا سنور (أدهم) .

وهنا تدخل مدير المخابرات المصرى ، قائلاً :

- سنور (جوانزاليس) يطلب تعاوننا معه فى مهمة خاصة يا (أدهم) ، ولقد حصلنا على موافقة السيد رئيس الجمهورية على الأمر ، وبقيت موافقتك أنت .

قال (أدهم) فى شيء من انضيق :

- بصفتى رئيساً لقسم العمليات الخاصة ؟؟

ابتسم المدير ، وهز رأسه تقيًا ، وهو يجيب :

- كلا .. باعتبارك الشخص الذى سينفذ المهمة .

برقت عينا (أدهم) فى شدة ، واستعدت حيويتهما ونشاطهما دفعة واحدة ، وتحركت يده فى انفعال ، جعل المدير يبتسم أكثر ، وهو يقول :

- كنت أعلم أن هذا سيروق لك !

أشار (جوانزاليس) بيده ، وقال :

- مهلاً يا سيادة المدير .. دعنى أشرح له المهمة أولاً .

ويلا مقدمات ، اندفع (جوانزاليس) يشرح الأمر

لـ (أدهم) ، الذى استمع إليه فى اهتمام كامل ، ودون أن يقاطعه بحرف واحد ، ثم سأله :

- وهل نعم الرئيس (بونزا) بهذا الأمر ؟

نوح (جوانزاليس) بيده ، وهو يجيب فى حماس :

- بالطبع ، وستلتقى به حتماً ، قبل أن تنتحل شخصيته ،

حتى يمكنك دراسته عن قرب ، كما سامحك الآن شريطاً

من أشرطة تسجيل الفيديو ، يحمل تسجيلًا لثحية اليومية

للسيد الرئيس .. ستحتاج حتماً لمعرفة كل هذا .

سأله (أدهم) :

- ولكن لماذا لا تقومون بتشديد الحراسة على الرئيس ، بدلاً من جلب شخص آخر لاتّحال شخصيته ؟
أجاب (جوانزاليس) فى بساطة :

- لأننا ما زلنا نجهل تماماً شخصية المتآمرين ، وقد يكون بعضهم ضمن طاقم حراسته ، كما أن تشديد الحراسة عليه سيعلن أن لدينا معلومات عن العملية ، وهذا قد يفسد خططنا كلها .. إننا نحتاج إلى رجل آخر ، خبير فى التعامل مع القتل ، ويمكنه مواجهتهم ، والتصدى لهم فى أية لحظة ، حتى ولو حاولوا مباغتته .

ران على المكان صمت طويل ، بعد أن انتهى (جوانزاليس) من حديثه ، وراح (أدهم) يرمقه بنظرة عميقة ، كما لو كان يحاول أن يفحص فى أعماقه ، ويستشف ما يخفيه فيها ، ولكن المنظر الداكن حجب عيني الرجل تماماً ، وإن لم يحجب ابتسامته الباردة ، وهو يقول :

- ما قولك يا سيد (أدهم) ؟.. هل توافق على القيام بالمهمة ؟

أسرع مدير المخابرات يقول :

- لقد أجرينا اتفاقاً جيداً مع سنيور (جوانزاليس) ، فى هذا الشأن .. اتفاق لصالح الميزان التجارى المصرى .. لصالح (مصر) يا (أدهم) .

أجاب (أدهم) على الفور :

- أوافق يا سيدى .. متى نسافر إلى (باراجواى) ؟
ارتسمت ابتسامة ظافرة على وجه (جوانزاليس) ، ونهض يده لمصافحة (أدهم) ، وهو يجيب :

- مساء اليوم .. كنت أعلم أنك ستوافق يا سنيور (أدهم) ، وتقد أعددت العدة لهذا .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد فى لهجة مقعمة بركة نصر ، ثم ترقى أبداً لـ (أدهم) :

- مرحباً بك فى وطنى يا سنيور (أدهم) .. مرحباً بك فى (باراجواى) ..

وعندما تصافحا ، شعر (أدهم) أن أصابع (جوانزاليس) قوية صارمة ، تماماً كشخصيته ، وشعر فى أعماقه بأن هذا الرجل يخفى أكثر مما أعلنه .

أكثر بكثير ..

★ ★ ★

• ما رأيك فى (باراجواى) يا سنيور (أدهم) ؟ .. ؟
أنقى (جوانزاليس) مواله هذا ، وهو يجلس داخل سيارة (مرسيدس) سوداء مصفحة ، تتطلى به مع (أدهم) فى شوارع العاصمة (أسوسيون) ، وتسير أمامها وخلفها سيارتان مشابھتان ، تضمان طاقم الحراسة الخاص برئيس

المخابرات ، فمط (أدهم) شفتيه . وقال فى شيء من الضجر :

- (أسوسيون) تشبه (القاهرة) إلى حد ما ، ولكن إجراءات الأمن عندكم تبدو شديدة التعسف .

ابتسم (جوانزاليس) ، وهو يقول :

- أتقصد انتشار قوات الجيش فى المطار والشوارع الرئيسية ؟ .. هذا أمر ضرورى بـارجل ، فنحن لا نتمتع هنا بذلك الاستقرار ، الذى يحيط بكم فى (مصر) .. هناك العديد من المخربين ، الذين يسعون دوماً لقلب نظام الحكم ، ومن الضرورى أن تكون على حذر طوال الوقت . قال (أدهم) ، وهو يلقي نظرة أسفة عبر النافذة ، على جندى يدفع أمامه أحد المواطنين فى قسوة :

- الحذر لا يمنع القدر .

أطلق (جوانزاليس) ضحكة ساخرة عالية هذه المرة ، وهو يجيب :

- هل تعتقد هذا حقاً ؟

ثم عاد يضحك فى سخرية مقببة ، لم ترق أبداً لـ (أدهم) ، إلا أنه لم يشأ الدخول فى مناقشة عقوبة مع الرجل ، فأشاح بوجهه عنه ، واكتفى بمشاهدة العاصمة عبر النافذة المصنوعة من انزجاج المصطح ، حتى سمع

الحارس الخاص (بوراندى) ، يقول فى صوت أجش غليظ :

- لقد وصلنا .

أدار (أدهم) عينيه ، ورأى الموكب الصغير يتجه نحو قصر منيف ، أحيط بحراسة مكثفة ، على نحو يثير الدهشة ، حتى أنه بالإضافة إلى رجال الحراسة والجيش ، كان هناك مدفع مضاد للطائرات فوق سطح القصر ، ودبابتان على جانبيه ، إلى جانب عشرات من رجال الأمن ، رآهم (أدهم) داخل القصر ، وفى كل حجراته ، قبل أن يستقر به المقام مع (جوانزاليس) وحارسه الخاص ، فى حجرة مكتب ضخمة ، وأشار (جوانزاليس) إلى أريكة وثيرة ، وهو يقول :

- سننتظر فخامة الرئيس (بونزا) هنا .

وسبق (أدهم) إلى الأريكة ، وأشعل سيجارته فى استمتاع واضح ، ونفث دخانها فى عمق ويطء ، ولكن (أدهم) لم ينحى به ، وإنما ظل واقفاً ، يتأمل المكان فى صمت وهدوء ، وعينا (بوراندى) تتابعانه فى شيء من التحفز ، جعل (أدهم) يلتفت إليه فجأة ، ويقول فى صرامة :

- هل أبدو لك وسيماً إلى هذا الحد ؟

انعقد حاجبا الحارس الضخم فى غضب ، واعتصر

أصابعه فى قبضته فى عصبية ، ولكن ارتفع فجأة صوت
رصين حازم قوى ، يقول :

- اعذر (بوراندى) يا سنيور (أدهم) ، فهو لا يجيد
شيئاً فى الدنيا سوى القتال .

اعتدل (جوانزاليس) فى مجلسه ، وهب واقفاً فى
سرعة ، وهو يقول :

- فخامة الرئيس .

واستدار (أدهم) فى هدوء إلى مصدر الصوت ، فوق
بصره على رجل متين النيان ، طويل القامة ، فى أوائل
الخمسينات من عمره ، أصلع الرأس ، وخط الشيب معظم
ما تبقى من شعره ، وأحاط بعينه منظار طبي أنيق ، وكان
الرجل يبتسم ابتسامة كبيرة ، وهو يمد يده إليه مصافحاً ،
ومستطرداً :

- أنت سنيور (أدهم صيرى) .. أليس كذلك ؟ .. إنك
تبدو كصورتك تماماً ، ولكن ذلك الشيب فى فوديك يمنحك
عمرًا يفوق عمرك الحقيقي .

صافحه (أدهم) ، وهو يقول :

- أعتقد هذا يا سيدى الرئيس .

أشار إليه الرئيس بالجلوس ، ودار ليجلس خلف
مكتبه ، وخلع منظاره الطبي ، قبل أن يقول :

- صدقنى يا سنيور (أدهم) .. لم يكن من السهل على
أن أقبل الفكرة ، اتى وضعها (جوانزاليس) ، فمن
السخيف أن تستأجر من يعرض نفسه للموت من أجلك .
قال (أدهم) فى حزم :

- سنيور (جوانزاليس) لم يستأجرنى .

ابتسم الرئيس ، وهو يقول :

- آه .. معذرة لاستخدامى هذا المصطلح البغيض
يا سنيور (أدهم) .. أنت على حق .. إن أحداً لم
يستأجره ، ولكنك تتعاون معنا بروح الود والصداقة ..
وبالمناسبة .. لا أحد هنا يعرف طبيعة مهمتك سوى أنا
و (جوانزاليس) ..

أشار (أدهم) إلى الحارس الضخم ، وقال ساخراً :

- وماذا عن هذا الوسيم هناك ؟

عقد (بوراندى) حاجبيه فى غضب ، فى حين أطلق
الرئيس ضحكة قصيرة ، وقال :

- نعم .. (بوراندى) أيضاً يعرف هذا .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً :

- بالنسبة للجميع ، أنت مندوب عن وزارة الخارجية
المصرية ، تجرى بعض المفاوضات معنا ، بشأن العلاقات
بين (مصر) و (باراجواى) .

غمغم (أدهم) :
- هذا أفضل .

تراجع الرئيس في مقعده ، ولوح بكفيه ، قائلاً :
- حسن يا سنيور (أدهم) .. هانذا أمامك .. كيف
يمكنني أن أساعدك ؟

أجابة (أدهم) في هدوء :

- في المعتاد لا أحتاج إلى معاونة من أنتحل
شخصياتهم يا سيادة الرئيس ، ونقد درست تسجيل الفيديو
الخاص بك جيداً ، ولكن ما دمت تبتدى استعداداً للتعاون ،
فهذا يجعل الأمر أكثر دقة وإتقاناً .
سأله الرئيس في شيء من اللففة ، وهو يميل نحوه مرة
ثانية :

- حسن .. ماذا تريد مني ؟ .. هل تدرس صوتي مثلاً ،
أم تصنع قناعاً لوجهي ؟

أجابة (أدهم) بابتسامة باهتة :

- ليست هناك أدنى مشكلة بخصوص الصوت .

لم يكذب ينطق العبارة ، حتى ارتفع حاجبا (جوائز اليس)
بدهشة بالغة ، وعقد (بوراندي) حاجبيه في شدة ، في
حين تراجع الرئيس في عتف ، وهو يهتف :

- رباه !.. لو لم أر شفطيك تتحركان ، لأقسمت إنني أنا
الذي يتحدث .. إنك تقلد صوتي في براعة مذهلة .

قال (أدهم) في هدوء :

- أعتقد أن الأمر سيبدو أكثر دقة ، عندما أنتحل هينتك
أيضاً يا سيادة الرئيس .

هتف الرئيس ، وهو يلوح بكفيه

- بالطبع .. بكل تأكيد .

ولكن (جوائز اليس) رفع يده ، وقال في شيء من
الصرامة :

- ما زلت أشعر بالشك .

التفت إليه الجميع في تساؤل ، فتابع في قلق :

- صحيح أن كل ما لدينا من معلومات ، يشير إلى أن
سنيور (أدهم) شديد البراعة ، في فن التكرار ، ولكنني
أشك في قدرته على خداع المقربين من السيد الرئيس .

بدأ الشك يتسلل إلى وجه الرئيس ، وهو يقول :

- هل تعتقد هذا ؟

وقال (أدهم) في حزم :

- لن يكشف أحد الأمر .

لوح (جوائز اليس) بسبابته أمام وجهه ، وقال :

- لا يمكن الجزم بهذا نظرياً .. إننا نحتاج إلى تجربة
عملية .

سأله الرئيس :

- وماذا تقترح ؟

أجابه (جوائزليس) فى سرعة :
- دع سنيور (أدهم) يتنكر فى هينتك ، ثم يجول بعض الوقت فى القصر الجمهورى ، ولتر : هل يتعرفه أحد الحراس أم لا ؟

أوما الرئيس برأسه إيجابًا ، وقال :
- فكرة لا بأس بها .. ما رأيك يا سنيور (أدهم) ؟
وعلى الرغم من الحذر ، الذى نما فجأة فى أعماق (أدهم) ، إلا أنه أجاب فى هدوء :
- ليس لدى أى مانع .
ثم نهض مستطردًا :
- ولكننى أريد حقيبتى ، ومكان للعمل .
أجابه (جوائزليس) فى حماس :
- ستحصل على كل ما تطلبه ، ولكن قل لى يا سنيور (أدهم) .. هل تحمل سلاحًا ؟
قال (أدهم) :

- مسسمى الخاص فحسب .
مذ (جوائزليس) يده إليه ، وهو يقول :
- أعطني إياه .. معذرة .. إنه إجراء أمنى تقليدى .
انتزع (أدهم) مسدسه ، وناوله إياه ، قائلاً :
- يمكننى فهم هذا .

اننقط (جوائزليس) المسدس من ماسورته ، ووضع فى عناية على سطح مكتب الرئيس ، ثم ابتسم قائلاً :
- هيّا يا سنيور (أدهم) .. أرنا ما ستفعله .
وللمرة الثالثة ، تعانت نبرة الحذر فى أعماق (أدهم) ..
تعانت كثيرًا ..

★ ★ ★

ارتفع حاجبا الرئيس (بونزا) فى دهشة حقيقية ، وهو يتابع على شاشة المراقبة تحركات (أدهم) ، الذى انتحل هينته بدقة مذهلة ، وراح يتحرك فى أرجاء القصر بكل هدوء ، ويلقى بعض تعليماته وملاحظاته للعاملين فيه ، دون أن تتطرق ذرة واحدة من الشك إلى أحدهم ، فى أن الواقف أمامه ، والذى يتحدث إليه ، ليس الرئيس (بونزا كورتينا) نفسه ، فهتف الرئيس فى حماس :
- رالع .. عظيم .. أنت تستحق مكافأة كبيرة يا (جوائزليس) ، على اختيارك لهذا الرجل .. إنه مدهش .. هل رأيت كيف خدع الجميع ؟ .. إنه قادر على خداعى أنا نفسى .. قل لى : ما المكافأة التى ترضيك ؟
أجابه (جوائزليس) ، وهو يرسم على شفثيه ابتسامة كبيرة :
- رضاك يا فخامة الرئيس هو مكافأتى الكبرى .

نوح الرئيس بيده ، وقال :
 - كلا .. كلا .. أنت تستحق مكافأة كبيرة بالفعل .
 ثم ضحك ، وهو يلتفت إليه ، مستطرذا :
 - أم أن صديقك الملياردير (بدروس) ، قد أهداك كل
 ما تحتاج إليه ؟
 ابتسم (جوائزيس) ابتسامة عصبية ، وهو يجيب :
 - (جون بدروس) صديق طفولة يا فخامة الرئيس .
 قال الرئيس :
 - آه .. أعظم هذا يا (جوائزيس) .. كنت أمزح
 فحسب .

ثم استطرد في حماس :
 - ولكن هذا الرجل رائع بحق .. انتظر .. ها هو ذا يعود
 أدراجه إلى هنا .. أريد أن أستقبله استقبالا حاراً ، ينبق
 ببراعته المدهشة .
 بدت ابتسامة (جوائزيس) غامضة مخيفة ، وهو
 يقول :
 - اطمئن يا فخامة الرئيس .. سيكون استقباله مفاجأة ،
 على أي مقياس معروف .
 ومع آخر حروف كلماته ، دلفا (أدهم) إلى الحجرة ،



التقط (جوائزيس) المسدس من ما سورتته ، ووضعه في عناية على
 سطح مكتب الرئيس ..

وانتزع قناع الرئيس (بونزا) ، ووضع في جيبه ، وهو
يبتسم ، قائلاً :

- ما رأيكم ؟

اندفع نحوه الرئيس ، وصافحه في حرارة ، وهو يقول
في حماس :

- رائع .. بل أكثر من رائع .. إنك تستطيع خداعي
أنا نفسي .

ابتسم (جوائزليس) ابتسامة غامضة أخرى ، وهو
يرتدي قفازاً جلدياً في يده اليمنى ، وتبادل نظرة سريعة مع
حارسه الخاص ، قبل أن يقول :

- نعم .. البراعة في أن تتجح في خداع الجميع .
تراجع الرئيس عائداً إلى مقعده خلف مكتبه ، وهو
يقول :

- لا يمكننا إلا أن نشهد لسنيور (أدهم) بالبراعة
المنقطعة النظير ، فهو ..

يتر عبارته بغتة ، وهتف وهو ينظر إلى بقعة ما ، خلف
(أدهم) تماماً :

- ماذا تفعل يا (بوراندي) ؟

قبل أن يتم عبارته ، شعر (أدهم) بذراعي (بوراندي)
القويتين تطوقان ذراعيه ووسطه ، والحارس

الضخم يزجر في شدة ، في حين التقط (جوائزليس)
مسدس (أدهم) ، الموضوع على مكتب الرئيس ، وصوبه
إلى هذا الأخير ، وهو يبتسم في سخرية وشماتة ، قائلاً :

- إنه ينفذ أوامري ، وكل شيء يسير على ما يرام ،
طبعاً للخطة .

حقق الرئيس في المسدس بذهول ، وهو يهتف :
- أية خطة ؟
أدرك (أدهم) على الفور ما يعتزم (جوائزليس) فعله ،
فتحرك في سرعة ، ودفع قدمه بكل قوته إلى الخلف ،
ليضرب بها ركبة (بوراندي) ، الذي أطلق صرخة قصيرة ،
ثم شدّد ضغط ساعديه على صدر (أدهم) وذراعيه ، وهو
يزجر في وحشية ، في نفس اللحظة التي قال فيها
(جوائزليس) .

- خطة إزاحتك عن طريق طموحاتي الضخمة .
وضغط زناد مسدسه ..

وتفجرت الدماء من صدر الرئيس (بونزا) ، قبل أن
يهوى فوق مكتبه ..

وعندئذ فقط ، أدرك (أدهم) أن مهمته قد بدأت ..
مهمته الحقيقية .

٣ - خطة الشيطان ..

تفجر غضب هائل في أعماق (أدهم)، عندما رأى (جوانزاليس) يطلق النار على الرئيس (بونزا)، وتحول غضبه هذا إلى قوة مدمشة، سرت في عروقه، وهو يهتف:

- أيها الوغد الخائن الحقيير ..

ورفع قدميه إلى الأمام، معتمداً بثقله على ذراعي (بوراندي)، اللتين تطوقانه، ثم استجمع كل قوته، ودفع قدميه إلى الخلف كالقنبلة، لترتطم بساقي الحارس الضخم، وعندما سمعه يتأوه، ويطلق خواراً كالنور، ثنى جسده إلى الأمام، وحمله على ظهره، على الرغم من أن وزنه يكاد يبلغ ضعف وزنه هو، ودار حول نفسه في مرونة، وسقط مع الحارس أرضاً، بحيث ارتطم ظهر (بوراندي) بالأرض في عنف، و (أدهم) فوقه ..

ومع عنف الصدمة، تراخت ذراعا الحارس الضخم عن صدر (أدهم) لجزء من اثناثية فحسب، قبل أن يستعيد توازنه ..

ولكن هذا كل ما يحتاج إليه رجل مثل (أدهم صبري) ..
لقد انزلق جسده من بين ذراعي (بوراندي) في خفة، في ذلك الجزء من الثانية، وترك ذراعيه تعصران الفراغ، ثم هب واقفاً على قدميه، والندفع نحو (جوانزاليس)، صانحاً في غضب:

- أنت تستحق القتل ..

ولكن (جوانزاليس) تراجع في سرعة وذعر، وضغط عدة أزرار على مكتب الرئيس، وهو يصوب مسدسه إلى (أدهم)، هاتفاً:

- ابتعد .. ابتعد عني ..

انطلقت صفارات الإنذار في القصر كله، فور الضغط على الأزرار، وضغط (جوانزاليس) زناد مسدسه، وانطلقت رصاصته، ولكن بعد أن قبض (أدهم) على معصمه، ورفع فوهة المسدس عاليًا، وهو يقول:

- أنت أقدر خائن رأيت في حياتي ..

وهوى على فك الرجل بلكمة كالقنبلة، انتزعته من مكانه، وقذفته عبر مكتب الرئيس إلى المكتبة الخلفية، فارتطم بها في عنف، وسقط منظاره الداكن، وهو يهوى أرضاً ..

وانقض (بوراندي) على (أدهم) مرة ثانية، وهو يصرخ غاضباً:

- لقد ضربت اترئيس .. كيف تجرؤ ؟
ولكن (أدهم) استدار إليه بسرعة ومرونة ، واستقبله
بكلمة كالتقبلة في فكه ، وهو يقول :
- هل تشعر بالغيرة منه أيها الخنزير الثيرى ؟
استقبل (بوراندى) الكلمة بخوار آخر ، وزمجر فى
وحشية ، وهو يلکم (أدهم) بكل قوته ، ولكن (أدهم)
تفادى الكلمة بحركة مرنة ، ولكم الحارس الضخم فى
معدته ، مستطرذا :
- فليكن .. هأنذا أضربك مثله .
تراجع (بوراندى) ، وهو يصرخ فى ألم وغضب ، فى
نفس اللحظة التى اقتحم فيها فريق من رجال أمن القصر
الحجرة ، وهم يحملون مدافعهم الآلية ، وصاح بهم
الحارس الضخم ، وهو يشير إلى (أدهم) :
- ألقوا القبض عليه .. لقد قُتل الرئيس .
وبدون تفكير أو مناقشة ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية
كلها نحو (أدهم) ، فى حين نهض (جوائزليس)
مترنخا ، وهو يقول :
- ألقوا القبض عليه .. إنه القاتل .. قاتل رئيسنا
المحبوب (بونزا) .
ولم يكن هناك مجال للمناقشة والشرح ..

لقد وضع (جوائزليس) اللعين خطته بمنتهى الدقة ،
ولن يجد (أدهم) أدنا صاغية واحدة ، يمكنه أن يشرح لها
الأمر .
ولكنه لن يستسلم ..
لن يفعل هذا قط ..
وفى حركة شديدة المرونة والسرعة ، وثب (أدهم)
يركل (بوراندى) بقدمه ، وهو يهتف :
- لا وقت لى للشرح هذه المرة .
ثم قفز نحو النافذة ، مستطرذا :
- سنلتقى فيما بعد .
اخترق جسده النافذة ، التى تحطم زجاجها بدوى
عنيف ، امتزج بصرخة (جوائزليس) الغاضبة :
- اقتلوه لو لزم الأمر .. لا تسمحوا له بالفرار قط .
انطلقت رصاصات الحراس ، تحطم ما تبقى من زجاج
النافذة ، ثم أشار إليهم (بوراندى) ، هاتفا :
- توقفوا .. دعونا نر ما فعلناه .
ثم اندفع نحو النافذة ، ونطلع عبرها فى دهشة ، قيل
أن يهتف ..
- أين ذهب ؟ ..
كانت الحديقة تبدو خالية تماما ، ثم امتلأت فجأة برجال

الحراسة ، وهتف أحدهم ، وهو يشير إلى الجدار المجاور
للنافذة :

- ها هو ذا .

استدار (بوراندى) فى سرعة ، ورأى (أدهم) يتحرك
مبتعداً فى خفة ، فوق أفريز ضيق ، على ارتفاع ثلاثة
طوابق ، فصاح بالحراس :
- أطلقوا النار فوراً .

لم يكذ (أدهم) بسمع هذا الأمر ، حتى وثب فى رشاقة
مذهلة ، واخترق أول نافذة أمامه ، فى نفس اللحظة التى
انطلقت فيها رصاصات الحراس ، وارتطمت بالجدار ..
وفى عصبية ، صاح (بوراندى) ، وهو يتراجع إلى
داخل الحجرة :

- لقد عاد إلى القصر .

هتف (جوازاليس) ، مشيراً إلى الحراس ورجال
الأمن :

- ابحثوا عنه .. أريده حياً أو ميتاً .

اندفع الرجال للبحث عن (أدهم) ، فى حين قال
(بوراندى) فى عصبية :

- هذا الرجل يتحرك بسرعة مدهشة .

انحنى (جوازاليس) يلتقط منظاره الداكن ، وهو
يقول ..

- لن يغادر القصر حياً .. أنت تعلم أننى أشرفت على
نظم الأمن بنفسى .

تطلع إليه (بوراندى) فى إعجاب ، وهو يقول :

- أنت عبقرى يا فخامة الرئيس .

ثم استدرك فى خبث :

- باعتبار ما سيكون .

ابتسم (جوازاليس) ، وهو يقول :

- إنها خطة متقنة للغاية ، ولا تقبل الفشل .

يا (بوراندى) .. لقد سجلت آلات التصوير والمراقبة حركة
ذلك المصرى ، وهو ينتحل شخصية (بونزا) ، ويتحرك فى
القصر ، ثم يتجه إلى هنا ، والجميع يعلمون أنه مندوب
وزارة الخارجية المصرية ، وعندما تعلن هويته ، كرجل
مخابرات مصرى ، لن يصبح من العسير أن ننتهمه بقتل
الرئيس ، ونلقى التهمة كلها عليه ، وعلى دولته كلها .

قال (بوراندى) :

- وتصبح أنت الرئيس الجديد .

هز (جوازاليس) كتفيه ، وابتسم قائلاً :

- ومن يصلح لهذا المنصب سوى ؟

كان (بوراندى) يتطلع إلى ابتسامة رئيسه ، ويهم
بالتعليق على عبارته ، عندما تلاشت هذه الابتسامة بفترة ،

وبرزت بدلًا منها ملامح الذعر والذهلة ، و (جوائز اليس)
يهتف في عصبية مدروسة ..

- لماذا تأخرتم ؟.. أسرعوا بإسعاف الرئيس .

اندفع الفريق الطبي الخاص بالقصر الجمهوري ، إلى
حيث سقط الرئيس ، وراحوا يفحصونه في سرعة ،
و (جوائز اليس) يواصل أداء دوره ، ويقول في غضب
مصطنع ..

ذلك الجاسوس المصري باغتتا ، وأطلق النار على
فخامة الرئيس ، ثم انطلق هاربًا .. المصريون قتلوا
رئيسنا المحبوب .

قال رئيس الفريق الطبي في انفعال :

- من حسن الحظ أنهم لم ينجحوا في هذا .

احتقن وجه (جوائز اليس) ، وهو يلتفت (إليه في
سرعة ، هاتفاً :

- ماذا تعنى ؟

واصل الطبيب عمله في سرعة ، وهو يقول في لهجة
تحمل مزيجًا من اللهفة والارتياح :

- إصابة فخامة الرئيس بالغة بالفعل ، ولكنه لم يمت

بعد .

وكانت صدمة بالنسبة لـ (ألبرتو جوائز اليس) وحارسه
الخاص .

صدمة قاسية ..

★ ★ ★

لم يكذب (أدهم) يقتحم النافذة الأخرى ، ويقفز عبرها
إلى قاعة الاجتماعات في القصر الجمهوري ، حتى تحرك
في سرعة وخفة ، على الرغم من ثيابه التي مزقتها شظايا
الزجاج ، وتلك الجروح الصغيرة ، المتناثرة بفعل الأطراف
الحادة ، في يديه وساقيه ..

كان يدرك جيدًا أنه في موقف لا يحسد عليه ؛ فهو متهم
بقتل رئيس (باراجواي) ، ويحاول الفرار من داخل
القصر الجمهوري نفسه ، من بين عشرات من رجال
الأمن ، وجيش كامل من الجنود ..

ويحسبه سريعة ، وجد (أدهم) أن الوسيلة الوحيدة
لإرباك هذا الحشد من مطارديه ، هي أن يتنكر مرة أخرى
في هيئة الرئيس (بونزا) ، فاستعاد قناع وجه هذا الأخير
من جيبه ، وارتداه مرة ثانية في عناية ، ثم اندفع خارج
القاعة ، و ...

فخامة الرئيس ١٢ ...

هتف بها ملازم شاب في دهشة ، وهو يحقّق في

(أدهم) ، الذى قفز خارج القاعة ، ثم خفض الملازم سلاحه بسرعة ، واستطرد مرتبكاً :
- ولكنهم يريدون أنك ...

قاطعه (أدهم) فى سرعة وحزم ، مقلداً صوت ولهجة الرئيس :

- لا تصدق كل ما تسمعه يا فتى .. إننى لم أمت بعد ، ولكن هناك مؤامرة تجري لاغتيالى .

هتف الملازم الشاب فى حماس :
- أنا رهن إشارتك يا فخامة الرئيس .. بم تأمرنى ؟

أشار (أدهم) بيده ، وهو يقول :
- أسرع بى إلى المخرج الخلفى .. سننفذ خطة الطوارئ .

قال الملازم فى قوة وحسم :
- الخطة (ب - ١٠٥) يا فخامة الرئيس .

ثم يكن (أدهم) يعلم شيئاً عن هذا الأمر بالتحديد ، ولكنه يدرك جيداً - بحكم عمله - أنه توجد خطماً ودائماً خطة للطوارئ ؛ لإنقاذ الرئيس فى أية محاولة لاختحام انقصر الجمهورى ، لذا فقد أجاب فى حزم :

- نعم .. إنها هى .
هتف به الملازم الشاب :
- اتبعنى إذن يا فخامة الرئيس .

وانطلق يعدو عبر ممرات القصر وأروقته ، فى نظام معقد ، و (أدهم) يتبعه ، ومن خلفهما تعالى دوى رصاصات رجال الأمن ، وهم يقتحمون القاعة ، فهتف الملازم الشاب :

- هل تأمر بعض رجال الأمن ؟

أجابه (أدهم) :
- نعم .. وهم يتقاتلون مع الآخرين .

قال الملازم الشاب فى اشتطاز :

- يتآمرون على الرئيس .. يا للقذارة !

كان يصعد مع (أدهم) إلى الطابق الرابع من القصر ، ثم أشار إلى مصعد صغير ، وهو يقول :

- تفضل يا فخامة الرئيس .. هذا سيحمننا إلى الهليوكوبتر ، اثنى تنتظر مع قائدها على السطح بصفة دائمة .

قفز (أدهم) داخل المصعد الصغير ، وتبعه الملازم الشاب ، وصعدا طبقاً آخر ، فلاح لهما السطح ، والهليوكوبتر تقف فى منتصفه ، وأسرع إليها الملازم الشاب ، وهو يهتف بقائدها ، انذى يقف عند حافة السطح ، محاولاً استطلاع ما يحدث ، بعد سماعه دوى الرصاصات :

- أسرع يا رجل .. سننفذ الخطة (ب - ١٠٥) ،
لتهريب فخامة الرئيس .

استدار الطيار في دعشة ، وحذق لحظة في وجه
(أدهم) ، الذى ينتحل هيئة الرئيس (بونزا) ، قبل أن يهتف
فى انفعال :

- أنا رهن إشارتك يا سيدى الرئيس .. أسرع إلى
الهليكوبتر .

ولكن فجأة ، دوى فى المكان صوت يهتف فى صرامة
وغلظة :

- لن يتحرك أحدكم من هنا .

وفى اللحظة التالية ، كان (بوراندى) يندفع إلى المكان
بجسده الضخم ، وهو يصوب إلى التجميع مدفعا آليا ،
ويستطرد فى خشونة ، موجها حديثه إلى (أدهم) :

- كنت أعلم أنك من الذكاء ، بحيث يمكنك أنتوجه
مباشرة إلى هنا .

رفع الملازم الشاب مدفعه الآلى فى مواجهة
(بوراندى) ، صاخا :

- لا تصوب مدفعك إلى فخامة الرئيس يا هذا ، وإلا ...
قاطع (بوراندى) برصاصات مدفعه ، التى اخترقت
جسم الشاب المسكين ، وانزعته من مكانه ، كما لو كان

دمية صغيرة ، ودفعته إلى الخلف فى عنف ، فارتطم
بمروحة ذيل الهليكوبتر ، وتحطم معها ، قبل أن يهوى
جثة هامدة ..

ووثب (أدهم) يلتقط مدفع الملازم الشاب ، وهو يهتف :

- أيها الوعد الحقيق .

أدار (بوراندى) فوهة مدفعه نحوه ، وراح يطلق
النيران فى غزارة وعصبية ، مما أفقده دقة التصويب ،
فتفجرت الرصاصات كلها خلف قدمى (أدهم) ، وهو
يدور فى سرعة ، ليحتمى بجسم الطائرة ، فى حين راح
الطيار يصرخ فى ارتياح ، وهو يلوح بذراعيه :

- أنا لم أفعل شيئا .. ثم أفعل شيئا .

ولكن (بوراندى) صرخ فيه ، وهو يطلق النار نحوه :

- اصمت أيها الحقيق .. إنك تمنعنى من التركيز .
تلقى الطيار الرصاصات كلها فى صدره ، وأطلق
صرخة ألم هائلة ، وهو يندفع إلى الخلف ، ويتجاوز حاجز
السطح ، ثم يهوى من حائق ..

وفى اللحظة التالية ، كانت رصاصات (أدهم) تطيح
بمدفع (بوراندى) الآلى ، وصوته يتردد هاتفا :

- (بوراندى) .. أنت أحقر خنزير رأيت ، فى حياتى
كلها .

تراجع الحارس الضخم فى دهشة ، عندما فقد سلاحه ،
وتساءل مذعورا : لماذا لم يقتله (أدهم) مباشرة ، ثم
اتسعت عيناه ذعرا ، عندما رأى (أدهم) يقادر مكمته ،
وهو يحمل مدفعه ، ويتجه نحوه مستطرذا فى غضب :
- فحتى الخنازير الوحشية ، لا يقتل بعضها البعض
دون مبرر .

هتف (بوراندى) فى عصبية ، وهو يتراجع رافعا
ذراعيه :

- من السهل على من يحمل السلاح ، أن يتحدث
كما يحلو له .

قذف (أدهم) مدفعه بعيدا ، وهو يقول :

- وماذا عن الأعزل ؟

تألفت عينا (بوراندى) ، وهو يضم قبضته ، قائلا :
- يدفع ثمن غيابه .

ثم انقض على (أدهم) ، مطمئا صرخة وحشية عجيبة ،
وهوى على فكه بنكمة كالقنبلة ، تفاداما (أدهم) بانحناءة
مرنة ، ثم تكم الحارس الضخم فى معدته ، لكمة بدت للرجل
كمطرقة من الصلب ، جعلته يطلق شهقة قوية ، وينثنى
على نفسه ، ولكن قبلة انفجرت فى فكه ، وأجبرته على
الاعتدال مرة أخرى ، فصرخ فى ثورة :
- لا أحد يفعل هذا بـ (بوراندى) .

ودفع ذراعيه إلى الأمام ، محاولا تطويق (أدهم) ، إلا
أن هذا الأخير وثب جانباً ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، يمكنك أن تطلق على هذا الاسم .

وانفجرت قبضته فى أنفه الضخم ، مع استطادته :

- اسم (لا أحد) .

انطلقت من حنجرة (بوراندى) زمجرة غضب
 واحتجاج ، جعلته أشبه بديناصور (*) صغير ، وتفجرت
الدماء من أنفه المحطم ، فأغرقت نصف وجهه ، وهو
يستل من حزامه خنجر ماضي ، ويلوح به فى وجه
(أدهم) ، هاتفا :

- أنت تستحق ما سأفعله بك .. ساذبك كالنعاج .

واندفع نحو (أدهم) فى وحشية شرسة ، ودفع خنجره
فى عنقه ، ولكن (أدهم) سال جانباً فى مرونة وبساطة ،
دون أن تتحرك قدماه قيد أنملة ، وارتفعت يده تقبض على
معصم (بوراندى) بأصابع من فولاذ ، وهو يقول :
- من الواضح أنك بطيء الفهم أيها الثور .

(*) الديناصور : زواحف برية ، كانت تعيش فى حقبة الحياة الوسطى ،
وانقرضت قبل نهاية الزمن الطباشيرى ، وكان معظمها يتميز بضخامته
وأشكاله المخيفة ، وتفاوت فى الطول ، من ٧٥ سم إلى حوالى ٢٧ مترا .

ثم لوى المعصم فى حركة سريعة قوية ، فأجبر الرجل على إفلات خنجره ، قبل أن تقفز قدمه لتركه بين ساقيه ، مع استطرادته :

- وهذا يعنى أنك تحتاج إلى درس آخر .

سقط الضخم على ركبتيه ، وتأوه فى ألم ، ولكن قبضة (أدهم) هوت على فكه كالصاعقة ، و (أدهم) يكمل : - أو إلى علقة ثانية .

هوى (بوراندى) أرضاً ، وأطلق صوثاً مزعجاً ، قبل أن يفقد وعيه ، فى نفس اللحظة التى تعالت فيها أصوات الرجال ، وهم يهرعون إلى السطح ، وقاندهم بصرخ : - حاصروا المكان جيداً ، وأطلقوا عليه النار فور رؤيته .

أسرع (أدهم) إلى باب السطح ، فأغلق رتاجه فى إحكام ، ثم تلفت حوله ، وهو يتمتم فى نهجة أقرب إلى السخرية :

- يبدو أنك قد وقعت فى المصيدة هذه المرة يا (أدهم) .. الجميع يعلمون أنك هنا ، ويحيطون بالمكان كله ، وأنت لا تملك سلاحاً ، والهليوكوبتر تحطمت مروحة ذيلها ، ولن يمكنها ضبط توجيهها .

كان الرجال قد بلغوا باب السطح ، وراحوا يذقون عليه

ببعوب مدافعهم ، ثم يدعوا فى إطلاق النار على رتاجه ، فأسرع (أدهم) يفحص الحديقة ، من خلف أسوار السطح ، وهو يتابع :

- والآن كيف السبيل إلى الفرار من هنا ؟ .. إننا على ارتفاع خمسة طوابق ، ورجال الأمن والجيش يمتنون الحديقة ، وهذا الباب لن يحتمل طويلاً ، وسينهار رتاجه مع تلك الرصاصات القوية ، و ...

وفجأة ، اعتدل ، وبرت عيناه فى اهتمام ، عندما وقع بصره على سيارة (جوائزاليس) المصفحة ، التى تقف عند باب القصر ، وغمغم :

- عظيم .. ها هى ذى وسيلة الخروج المثالية من القصر ، ولكن كيف الوصول إليها ؟ .. كيف ؟

فى نفس اللحظة التى بدأ فيها رحلة البحث عن جواب ، كان قائد رجال الأمن خلف باب السطح يهتف برجاله : - توقفوا عن هذا التبعث العشوائى .. كلنا نعلم أن هذا الباب متين للغاية ..

تراجعوا بضع خطوات ، وصوبوا على الرتاج مباشرة . أطاعه الرجال على الفور ، وانتهالت رصاصاتهم على الرتاج ، الذى لم يلبث أن تحطم وقفز من موضعه ، فدفع الرجال باب السطح ، واندفعوا إليه بمدافعهم المشهورة ،

فى نفس اللحظة انتهى ارتفع فيها هدير مروحة
الهليكوبتر، التى ارتفعت عن السطح، وهى تدور حول
نفسها على نحو مخيف، فهتف قائد الرجال :
- إنه يحاول الفرار بالهليكوبتر المصفحة .

أجابه أحد رجاله ، وهو يشير إلى الطائرة ، التى بدت
أشبه بحلقة دوارة ضخمة بعد أن فقد ذيلها اتزانها ، وراح
يدور حول نفسه ، على نحو جعل قائد رجال الأمن يقول
فى دهشة وحيرة :

- ما الذى يتوقعه هذا الرجل من طائرة كهذه ؟.. إنها
لن تذهب به إلى أى مكان ١٤

ولكن (أدهم) لم يكن يحتاج إلى الهليكوبتر للذهاب
إلى أى مكان ..

كان يحتاج إليها فقط للهبوط من سطح القصر إلى
الحديقة ..

وهذا ما فعله ..

لقد تمكن من السيطرة على الهليكوبتر ، على الرغم
من إصابة الذيل ، وبدا المشهد مدهشاً ، مثيراً للتحيرة
والإبهام ، وهو يهبط بها بالقرب من سيارة (جوانزاليس)
المصفحة ، والجميع يتابعونه مشدوهين ..

ثم انطلقت صرخة (جوانزاليس) ، لتتزعجهم من
ذهولهم ، وهو يهتف :

- ما الذى تتطلعون إليه أيها الأغبياء .. أطلقوا النار
عليه .

وثب (أدهم) من الهليكوبتر ، فى نفس اللحظة التى
انطلقت فيها الرصاصات ، وتدحرج على الأرض فى
رشاقة ، متفادياً النيران الكثيفة ، قبل أن يقفز واقفاً على
قدميه ، ويعدو نحو السيارة المصفحة ، التى التزع سائقها
مسدسه ، وهو يهتف :

- حذار أن تقترب ، وإلا ...

وقبل أن يتم عبارته ، فوجئ بـ (أدهم) يقفز نحوه
قفزة مدهشة ، ويدور حول نفسه دورة رأسية ، تكاد
تنافس لاعبي الأكروبات فى السيرك ، ليتجاوز مقدمة
السيارة ، ويهبط على قيد خطوة واحدة منه ، وهو يقول
ساخراً :

- وإلا ماذا ؟

ثم هوت قبضته على فك الرجل كالصاعقة ، والتقط
مسدسه قبل أن يسقط أرضاً ، ثم وثب داخل السيارة
المصفحة ، وأدار محركها ، وهو يقول متهمكناً :
- أشكرك ؛ لأنك تركت المفاتيح فى موضعها .

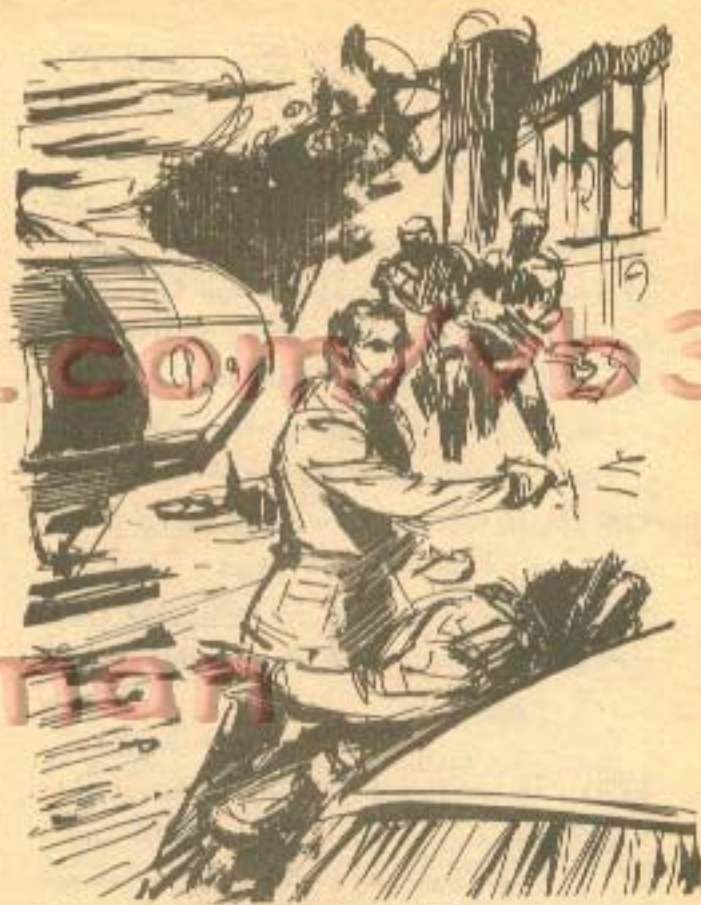
جحظت عينا (جوانزاليس) في غضب وارتجاع ، عندما رأى (أدهم) ينطلق بسيارته المصفحة ، والرجال يطلقون النيران عليها ، فترتد رصاصاتهم عن جسمها في عنف ، فراح يصرخ من نافذة حجرة مكتب الرئيس ، وهو يلوح بذراعيه :

- أغلقوا الأبواب .. لا تسمحوا له بالفرار .

ثم أسرع إلى الهاتف الداخلي ، وانقرع سماعته ، وهو يقول :

أنا القائد (جوانزاليس) .. قاتل الرئيس استولى على سيارتي المصفحة ، وكل رصاصات الحراس لن تنجح في خدشها .. استمع إلى جيداً .. إنها سيارتي ، وأنا أكثر من أعرف قدراتها .. مَرَّ الرجال بالتوقف عن إطلاق النار ، وأطلق الدبابتين خلف السيارة .. ستغلق الأبواب كلها ، ونحاصره داخل الحديقة ، ثم نتعامل الدبابتان معه .

ثم أنهى الاتصال وعيناه تنلمعان في وحشية مفرطة ، ودق بقبضته على سطح مكتب الرئيس ، وهو يستطرد :
- لن تغادر هذا القصر حياً أبها المصري .. خذها كلمة مني .. كلمة من (جوانزاليس) .



ثم هوت قبضته على فك الرجل كالصاعقة ، وانقط مسدسه قبل

أن يسقط أرضاً . ثم وثب داخل السيارة ..

وفي نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، كانت
الدبابتان قد تحرّكتا لتنفيذ مهمتهما ، والتعامل بكل قوتهما
مع العدو ..

وكان العدو في هذه المرة هو الرجل ..
رجل المستحيل .

★ ★ ★



٤ - دبابتان ورجل ..

على الرغم من القتال الدائر في عنف ، داخل وخارج
القصر الجمهوري ، انهمك فريق الأطباء الخاص بالرئيس
في محاولات إسعافه وإنقاذه ، وتم نقله على وجه السرعة
إلى حجرة عناية مركزة خاصة ، في انطابق الأرضي ،
ملحقة بقاعة مجهزة لإجراء العمليات الجراحية العاجلة ،
وقال أحد الأطباء في توتر :

- يمكننا إيقاف النزيف ، ولكن من الصعب استخراج
الرصاصة هنا ، فهي على حافة البطين الأيسر للقلب (*) ،
ومحاولة انتزاعها من هذا المكان ، قد تصبح السبب في
مصرع الرئيس .
أجابه أحد زملائه :

- المهم أن نوقف النزيف ، ونبقى على حياة فخامة

(*) القلب : عضو عضلي أجوف ، يقع معظمه إلى الجهة اليسرى من
الصدر ، بين الرئتين ، ودقاته أساسية للحياة ، لأنها مصدر دوران الدم ، وهو
ينقسم إلى قسم اليمن ، يستقبل الدم الوريدي ، وينقله إلى الأوعية الزلوية
للتغذية ، وقسم اليسر يستقبل الدم المتدفق من الرئتين ، ويوزعه على جميع
أنسجة الجسم .

الرئيس ، حتى ينتهوا من القضاء على قاتله ، أو إلقاء القبض عليه ، وبعدها سيتم نقله إلى جناحه الخاص ، في مستشفى (أسوسيون) المركزي ، وهناك يمكنهم إنقاذه ، بما لديهم من خبرات وإمكانات .

زفر الطبيب الأول ، وهو يقول :

- إلتى أبذل قصارى جهدى .

ثم هز رأسه فى قوة ، وهو يضمّد جرح الرئيس ، قبل أن يستطرد :

- العجيب أننى - وعلى الرغم من استعداداتنا الدائمة لأية أحداث طارئة - لم يخطر ببالى قط أن هذا يمكن أن يحدث .. جاسوس يتسلّل إلى هنا ، ويطلق النار على الرئيس .. يا للعجب !

أجابه زميله :

- سترى الكثير ، ما نمت تحيا هنا يا رجل .

لم يكذ يتم عبارته ، حتى نذت من الرئيس حركة خفيفة ، وصدرت عنه عدة تأوهات خافتة ، فهتف أحد الأطباء فى انفعال :

- إنه يستعيد وعيه .

صاح طبيب آخر فى لهفة :

- أسطوانة أكسجين .. أسرعوا بإحضار أسطوانة أكسجين .

فتح الرئيس (بونزا) عينيه فى صعوبة ، وتطلع متهاكًا إلى الأطباء المحيطين به ، فقال أحدهم فى حرارة :
- اطمئن يا فخامة الرئيس .. إننا نبذل قصارى جهدنا لإسعافك .

همهم الرئيس بعبارة غير مفهومة ، فاتحنى نحوه أحد الأطباء ، وأمال أذنه تجاه شفتيه ، وهو يسأله :
- ماذا تقول يا فخامة الرئيس ؟

سعل الرئيس ، قبل أن يهمس فى خفوت ، وعلى نحو أوحى بأنه يبذل جهدًا خارقًا :
- (جوائزيس) .. هو الـ .. الـ ..

وراح يسعل مرة أخرى ، وتناثرت الدماء من فمه على وجه الطبيب ، الذى تراجع فى حركة حادة ، وتطلع فى دهشة إلى الرئيس ، الذى سقط مرة أخرى فى غيبوبة عميقة ، فهتف طبيب آخر :
- ما الذى أخبرك به ؟

هز الطبيب رأسه ، قبل أن يقول :

- يبدو أنه كان يوصينى ، بأنه لو أصابه مكروه ،

فلينتقل الحكم إلى الجنرال (جوائزيس) .. لقد اختاره ليخلفه .. هذه وصيته .

ران على المكان صمت رهيب ، وتبادل الجميع نظرات
تحفل بالأسف والمرارة ، ثم عاد كل منهم ببذل قصارى
جهده لإيقاظ الرئيس ، وقد استقرت في عقولهم - دون
اتفاق مسبق - فكرة واحدة ..
لا بد أن يبقى الرئيس على قيد الحياة ..
وبأى ثمن ..

أدرك (أدهم) ، منذ اللحظة الأولى ، أن السيارة التي
يركبها مصفحة وقوية بحق ، فقد ارتدت عنها
الرصاصات ، التي انهمرت كالمطر ، دون أن تترك فيها
سوى خدوش بسيطة ..
ولكن ما الذى يقعله بسيارة مصفحة ، وهو سجين داخل
حديقة انقصر الجمهورى ١٤ ..

كان يعلم أن أبواب الأسوار كلها قوية ، ولن يمكنه
اختراقها بواسطة السيارة ، على الرغم من قوتها ..
ثم إن السيارة كانت ، على الرغم من قوتها ، بطيئة ،
صعبة المناورة ..
ربه ! بسبب ألواح الصليب ، التي تختفى في سقفها
وجانبيها وقاعها ..

انهمم أنها لم تكن قط من ذلك الطراز ، الذى يروق لرجل
مثل (أدهم صبرى) ، فى مثل هذه الظروف ..
ثم فجأة ، انفجرت خلفه قنبلة قوية ..
انفجرت على قيد نصف المتر منه ، وكان انفجارها
عنيفاً قوياً ، حتى أن السيارة كادت تنقلب على جانبها ،
لولا ثقل وزنها ..

وفى تلك اللحظة فقط ، انتبه (أدهم) إلى أنه مطارد ، وأن
ما يطارده ليس سيارة أخرى ، أو كتيبة من قوات الجيش ..
بل دبابتان ..
دبابتان قويتان تطاردانه ، وتسعيان لمحاصرته فى أحد
أركان الحديقة ، ونسقه نسفاً ..
وأعاد إليه هذا ذكريات قديمة ..
ذكريات عمله فى قوات الصاعقة المصرية (*) ، قبل
وأثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ م (**) .

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. للغمارة رقم ٣١

(**) حرب أكتوبر ١٩٧٣ م : بعدت سنوات من نكسة يونيو ١٩٦٧ م ،
هبط الجيش المصرى فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ م ، امقاة العدو
الإسرائيلى ، وتمكن من تحقيق معجزة عسكرية ، على أى مقياس عسكرى .
عندما نجح فى عبور قناة السويس ، وتدمير خط (بارليف) ، وتعتبر هذه أول
هزيمة عسكرية للجيش الإسرائيلى ، منذ بدأ الصراع العربى مع إسرائيل .

شبه أفقى، وحاصرا ميارة (أدهم)، واستعدا لإطلاق قذيفتيهما نحوها ..

وفى السيارة، رأى (أدهم) ما فعلته الدبابتان، فى المرأة الداخلية، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وهو يتمتم:

- هيا .. صوباً جيداً، فأنا أعتد عليكما.

وضغط فرامل ميارته بغتة، فأطلقت إطاراتها صريراً عالياً، وهى تحتك بالمرمر المرصوف فى منتصف الحديقة، واستدار هو يتابع حركة المدفعين فى دقة، ثم هتف لنفسه بغتة:

- الآن.

قائها، وهو يضغط دواسمة الوقود، ويندفع بالسيارة إلى اليمين بغتة، مبتعداً بمقدار ستة أمتار ..

وفى نفس اللحظة، التى تحرك فيها، أطلقت الدبابتان قذيفتيهما، اللتين تجاوزتا الموضع، الذى كان يحتله (أدهم) منذ لحظة واحدة، وواصلتا طريقيهما لحظة أخرى، ثم انفجرتا فى الباب الرئيسى للقصر مباشرة .. وانهار الباب المصطح، مع دوى الانفجارين العنيفين، وامتزج الدوى بتلك الضحكة الساخرة العالية، التى أطلقها (أدهم)، والتى فهم معها الجميع خطئه البارعة ..

وقبل أن يتوغل فى ذكرياته، انفجرت عن يمينه قنبلة جديدة، فأنحرف فى عنق إلى اليسار، وبدت له الدبابتان واضحتين، وهما تتجهان إلى جانبى الحديقة، فى محاولة لتطويقه ..

ومن شرفة القصر، لُوح (جوانزاليس) بقبضته صارخاً:

- اسحقوه .. اسحقوه .. انسفوا هذا المصرى نسفاً.

ولكن (أدهم) دار بسيارته فى حركة سريعة، وانطلق نحو الدبابتين، ثم انحرف فى مهارة، وهو ينطلق أسفل مدفعيهما، فهتف (جوانزاليس) فى حلق:

- اثلثه .. هذا الشيطان خبير فى التعامل مع الدبابات .. إنه يقترب إلى أقل من مدى رماية مدفعى الدبابتين.

قال له أحد جنود الأمن فى دهشة:

- ولكنه يبتعد مرة أخرى.

عقد (جوانزاليس) حاجبيه فى توتر، وهو يتساءل عما يفعله (أدهم) بالضبط، فقد رآه ينطلق مرة أخرى مبتعداً عن الدبابتين، ويرaug فى اندفاع متعرجة، جعلت إصابته عسيرة، ولكن قائدى الدبابتين كانا بارعين بحق، فقد اتجه كل منهما نحو الآخر، وخفضا مدفعيهما فى وضع

رأى فى امرأة الجائبة للسيارة أربعا من سيارات
(الجيب) القوية ، تعبر بوابة القصر لمطارده ، فأنحرف
جانبا فى سرعة ، وهو يواصل حديثه مع نفسه ، قائلا :
- هيا يا (أدهم) .. حاول أن تسترجع كل ما حفظته عن
جغرافية (باراجواى) .. لقد راجعت خريطة (أسوسيون)
أمس . والمفروض أن تتذكرها .. هيا .. اعتصر ذهنك ..
هناك جسر يعد كيلو مترين .. نعم .. إننى أتذكر هذا جيدا ..
حاول أن يضغط دواسمة الوقود أكثر ، ولكن السيارة
كانت تنطلق بسرعتها القصوى بالقفل ، وعلى الرغم من
هذا راحت سيارات (الجيب) الأربع تقترب ، وتقترب ..
ثم لاح الجسر ..

.. وارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو
يغمغم :

- أهنك .. ها هو ذا الجسر .. إنك تستحق درجة ممتازة
فى اختبار الجغرافيا (*) .

(*) الجغرافيا : علم وصف الأرض . ويعنى بوصف الظواهر الطبيعية
والبشرية وتحليلها ، وترتيبها ، واستخلاص قوانين علمية منها ، ولقد بدأ
(اليونان) الدراسات الجغرافية ورسم الخرائط ، وبلغ هذا أوجه على يد
(بطليموس) ، الذى أثر فى الجغرافيين العرب ، أمثال (ابن خرداذبة) ،
و (البغوي) ، و (الإدريسي) ، و (ياقوت) .

لقد استخدم خبرته السابقة ، فى التعامل مع الدبابات
وقيادتها ، وأدرك متى يبدأ مسنول المدفع فى إطلاق
قذيفته بالضبط ، واختار لنفسه موضعا مناسباً ، بحيث
بتوسط المسافة ، بين المدفعين والبوابة الرئيسية ، وترك
للدابتين مهمة فتح الباب ، الذى يعجز هنا عن فتحه ..
وحده (أدهم صبرى) يستطيع هذا ..
هو فقط ، يمكنه لتزاع القصر ، من بين فكى الهزيمة ..
نقد حول السلاح المدمر ، بخدعة بارعة ، إلى وسيلة
للنجا ..

وجن جنون الجميع ، وعلى رأسهم (جوازليس) ،
الذى راح يصرخ فى هياج ، وهو يشاهد (أدهم) ينطلق
بسيارته المصفحة ، ويعبر البوابة المحطمة :
- أسرعوا خلفه .. لا تتركوه يفر هكذا .

وضغط (أدهم) دواسمة الوقود ، بكل ما يملك من قوة ،
وانطلقت سيارته بالفعل بسرعة رهيبية ، تكاد تفوق
سرعتها وهى جديدة ، وعلى الرغم من هذا فقد بدت له
بطينة ثقيلة ، مما جعله يغمغم :

- هذا أحد الأسباب ، التى أبغض من أجلها السيارات
المصفحة .

كان الجسر مزيجاً بالسيارات ، على نحو لم يتوقعه
قط ، ولم ينتبه إلى هذا ، حتى سار على مسافة مائتى متر
منه ، فانتقد حاجباه ، وهو يقول :

- آه .. يبدو أنك لن تحصل على الدرجة التى كنت
تتوقعها يا (أدهم) .

لم يكن من الممكن أبداً أن يمضى فى طريقه بنفس
السرعة ، وكان من المستحيل أيضاً أن يتوقف ، وإلا لحقت
به سيارات الجيب الأربع ..

وهنا لم يجد (أدهم) أمامه سوى حل واحد ..

حل بالغ الغرابة ..

أو بالغ الجنون ..

وبسرعة السيارة القصوى ، انحرف (أدهم) يساراً ،
وعبر الطريق العمودى على الجسر ، وانطلق مباشرة نحو
حاجز النهر ، فاتبعت عينا قائد فريق المطاردة ، وهو
يقول فى دهشة :

- ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

ثم يكذب ينطقها ، أو قبل حتى أن تكتمل حروفها ، كان
(أدهم) قد ارتطم بحاجز النهر الأسمنتى ، وحطم بسيارته
المصفحة ، التى تجاوزت الحاجز إلى الفراغ ، وسبحت
لحظة فى الهواء ، ثم هوت كالقذيفة فى النهر ، وارتطمت
به فى عنف شديد ، ثم غاصت فى أعماقه ..

وضغط قائدو سيارات (الجيب) قراملهم فى قوة ،
وتوقفت السيارات الأربع أمام ذلك الجزء المحطم من
الحاجز ، وقفز منها جيش صغير من الرجال ، صوب
مدافعه الآلية إلى النهر ، وقائده يهتف :

- استعدوا لإطلاق النار عليه فور ظهوره .. إنه لن
يستطيع البقاء تحت الماء طويلاً .

تحفز الرجال بمدافعهم . وتحفرت سبابتهم على أرضه
مدافعهم ..

ولكن الدقائق راحت تمضى فى سرعة ، دون أن يظهر
خصمهم على السطح ..

وكان من الواضح أن (أدهم) قد اختفى فى قاع النهر ..
اختفى تماماً ..

★ ★ ★

« ماذا تعنى بأنه اختفى ؟ ... »

أطلق (ألبرتو جوانزاليس) هذا السؤال كالقذيفة ، فى
وجه قائد فريق المطاردة ، وجسده كله ينتفض فى غضب
وثورة ، واستطرد ووجهه يكاد ينفجر من فرط احتقانه :
- (إنكم تطاردون رجلاً واحداً ، فكيف ينجح فى الفرار
منكم ؟)

أجابته الرجل في ضيق :

- ثم أقل إنه قد نجح في الفرار يا سيدي الجنرال .. كل ما قلته هو أنه قد اختفى .

نوح (جوائز ليس) بذراعه في وجه الرجل ، هاتفاً :

- وما الفارق أيها العبقري ؟
النتقط الرجل نفساً عميقاً ، وكأنه يحاول تهدئة أعصابه المتوترة ، قبل أن يجيب :

- فارق ضخم يا سيادة الجنرال ، فلقد وصلنا إلى منطقة سقوط السيارة في النهر ، بعد أقل من عشرين ثانية ، وكانت السيارة في القاع بالفعل ، ثم حاصرنا المنطقة ، ووقفنا نترقب صعود الرجل إلى السطح ، ولكنه ظل تحت الماء لربع ساعة كاملة ، وما من مخلوق حي يمكنه هذا ، وبعد هذا الوقت ، وصلت معدات وأوناش الانتشال ، التي تم استدعاؤها على نحو عاجل ، فور سقوط السيارة ، واستغرق رجال الضفادع البشرية نصف ساعة أخرى ، في فحص القاع ، وانتشال السيارة ، التي كانت خالية تماماً ، وبابها الأمامي الأيسر مفتوح ، ولم يتم العثور على جثة الجاسوس .. ومن المحتمل ، في ظل هذه الظروف ، أنه حاول مغادرة السيارة ، ولكنه لقي مصرعه غرقاً ، قبل أن ينجح في هذا تماماً ، ثم حمل التيار جثته بعيداً ، في اتجاه مصب النهر .

عقد (جوائز ليس) حاجبيه ، وهو يستمع إليه في انتباه ، ثم قال في صرامة :

- هذا التحليل ، على الرغم من أناقته ، لن ينجح في إقناعي .. إنني أمتلك ملفاً كاملاً عن هذا الرجل ، وشاهدت بنفسى كيف يعمل ، ومثل هذا الرجل ، لا يمكنك أن تجزم بموته ، إلا عندما ترى جثته ، وتمزق أطرافها بنفسك .

مطاً قائد فريق المطاردة شفتيه ، وقال في ضيق واضح :

- فليكن يا سيادة الجنرال .. بم تأمر ؟

أجابته (جوائز ليس) في لهجة أمرة متعالية :

- ضاعف الحراسة على جانبي النهر ، ولتعلن أجهزة الإعلام كلها عن إصابة الرئيس ومحاولة قتله .. أريد منشورات تحمل صورة الجاسوس في كل شارع ، مع مكافأة ضخمة لمن يرشد عنه ، ولتتم إذاعة صورته في التلفاز كل ساعة .

شمغم الرجل ، وهو يؤدي التحية العسكرية قبيل انصرافه :

- كما تأمر يا سيادة الجنرال .

وتم يكد الرجل بنصرته ، حتى قال (بوراندی) في حلق :

- أريد أن يعثروا على هذا الرجل حياً ، ويحضروه إلى هنا ، حتى أخنقه بيدي .

رمقه (جوائزليس) بنظرة نارية ، وهو يقول :

- لقد كان هنا بالفعل ، فماذا فعلت به ؟

احتقن وجه (بوراندى) أكثر ، وهم بقول شيئاً ما ،
عندما ارتفع رنين الهاتف الداخلى بغتة ، فالتقط
(جوائزليس) ساعته فى سرعة ، وهو يقول :

- ماذا هناك ؟

أتاه صوت أحد رجال الأمن ، قائلاً :

- سنيور (يدروس) هنا ، ويطلب الإذن بمقابلتك
يا سيّد الجنرال .

صاح به (جوائزليس) :

- أيها الغيبى .. قلت أكثر من مرة : إن سنيور
(يدروس) صديق للدولة ، ويمكنه الحضور لمقابلتى فى
أى وقت يشاء .. دعه يأت على الفور .

ثم تمض دقائق ، حتى وصل (جون يدروس) ، وهو
رجل ضخم الجثة ، أشيب الشعر تماماً ، ضيق العينين ،
يرتدى حلة فاخرة ، تشف عن الذوق والثراء ، ويضع فى
فمه سيجاراً كوبيّاً فاخراً ، ولم يكد يلمح (جوائزليس) ،
حتى اندفع نحوه ، وصافحه فى حرارة شديدة ، وهو يقول :
- وا صديقى العزيز .. ما هذه الأخبار المفزعة التى
سمعناها ؟.. ماذا حدث ؟

أجابه (جوائزليس) فى حرارة مماثلة :

- كارثة يا عزيزى (يدروس) .. كارثة .. لقد أرسلت

(مصر) أحد جواسيسها ، متحلاً شخصية مندوب لوزارة
الخارجية ، وعندما اجتمع به فخامة الرئيس ، فوجئنا به
يستلّ مسدساً ، ويطلق النار على الرئيس ، ثم يستغل حالة
الاضطراب والبلبلة ، التى تبعت هذا ، للفرار من هنا ، قبل
أن نلقى القبض عليه .

نفس (يدروس) دخان سيجاره ، وهو يقول :

- عجباً ! .. ثم تقدم (مصر) فى تاريخها كله ، على
اغتيال شخص ما بهذه الوسيلة العجيبة ، ثم إنه لا يوجد داع
اقتصادى أو سياسى ، للقيام بمثل هذا العمل انعجب .

قال (جوائزليس) :

- ولكننا نمتلك الأدلة على كل هذا يا عزيزى
(يدروس) .. لدينا الأوراق الرسمية ، التى وصل بها ذلك
الجاسوس إلى هنا ، وانتهى تؤكد أنه مندوب لوزارة
الخارجية المصرية ، ثم منقه الخاص ، الذى يثبت أنه رجل
مخابرات مصرى ، كما أن مسدسه يحمل بصماته ، ولدينا
تسجيل نه ، وهو يتحلّ شخصية الرئيس .. صدقنى
يا رجل .. كل شىء رسمى ومؤيد بكل الأدلة الممكنة ،
وسترى بنفسك قاضى التحقيقات ، وهو يبدأ عمله هنا ،
ويثبت أن ذلك الجاسوس هو قاتل الرئيس .

عقد (بدروس) حاجبيه بعض الوقت ، ثم قال :
- وهل لقي الرئيس مصرعه ؟ .. لقد شاهدت ، فى أثناء
وصولى إلى هنا ، سيارة إسعاف تتطلق بسرعة ، إلى
المستشفى المركزى ، وحولها حراسة ورجال أمن
الرئيس .

طفأ الضيق (إلى نبرات (جوانزاليس) ، على الرغم من
محاوئته لكتماته فى أعماقه ، وهو يجيب :
- من حسن الحظ أن رئيسنا المحبوب قد نجا من
الاعتداء ، ولكن إصابته بالغة ، وحالته سيئة للغاية ، ولقد
بذل الفريق الطبى للقصر قصارى جهده لإسعافه ، ثم نقلوه
إلى جناحه الخاص ، فى المستشفى المركزى ، تحت حراسة
مشددة .

نفث (بدروس) دخان سيجاره مرة أخرى ، قبل أن يسأل
فى حذر :

- وهل سينجو ؟

هز (جوانزاليس) رأسه ، وغمغم :
- نتعشم هذا .

مط (بدروس) شفتيه ، وبدأ وكأنه يمسح طرف
سيجاره ، وهو يقول :

- اصدقنى النقول يا جنرال .. هل يمكنكم الإيقاع بهذا
الجاسوس ؟

اتسعت ابتسامته (جوانزاليس) ، وعقد كفيه خلف
ظهره ، وشذ قامته فى اعتداد ، وهو يجيب :

- يانه من سؤال .. إنه رجل واحد ، فى مواجهة دولة
كاسمة يا رجل .. ألم تتضح لك الصورة بعد ؟! .. هذا
الجاسوس المصرى فى مأزق شديد ، لا مخرج له ..
صدقنى .. ليس لديه أدنى أمل .

ولم يكن (جوانزاليس) مبائفا فى قوله هذا ..
إن (أدهم) فى مأزق حقيقى ..
أكبر مأزق فى حياته كلها ..
وأكثرها خطورة .

★ ★ ★



٥ - الخطر ..

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت الخامسة صباحًا بعد ،
عندما وصلت سيارة مدير المخابرات العامة المصرية إلى
العيني الرئيسي ، في (حدائق القبة) ، وتجاوز البوابة
بسيارته في شيء من التوتر ، ولم يكد يوقفها في ساحة
الانتظار الخاصة ، حتى اندفع نحوه أحد رجاله ، وهو
يقول في توتر ملحوظ :

- معذرة لإيقاظك في هذه الساعة المبكرة يا سيدي ،
وكن الأمر عاجل وخطير للغاية ، وتعليماتك تمنعنا من
شرح مثل هذه الأمور هاتفياً .

غادر مدير المخابرات سيارته ، وهو يسأله في اهتمام :
- ما الذي حدث بالضبط ؟
أجابه الرجل في سرعة :

- جرت محاولة لاغتيال الرئيس (بونزا كورتينا) في
(باراجواي) ، وهو في حالة بالغة الخطورة ، ولم يتحدد
مصيره بعد .

بهت مدير المخابرات ، وهو يقول :

- ماذا ؟... إذن فقد قُتل (أدوم) في مهمته لأول مرة .
ازدرد الرجل لعابه ، وهو يسير مع المدير نحو المبنى
انصامت ، ثم قال في صوت خافت متوتر :
- للأسف يا سيدي .. اعتقد أن الأمر أسوأ من ذلك
بكثير .

توقف المدير دفعة واحدة ، وهتف :
- هات ما لديك يا رجل ، ولا تتر أعصابي أكثر من هذا .
النقط التي نلخصها عميقاً ، ثم أجاب في حسم :

- مدير المخابرات (ألبرتو جوانزاليس) اتهم (أدوم)
بتنفيذ محاولة الاغتيال هذه ، بتدبير مسبق من المخابرات
المصرية ، وأعلن أن لديه أدلة لا تقبل الشك ، لتأكيد
اتهامه ، وكل وسائل الإعلام ، في طول (باراجواي)
وعرضها تنزع أوصاف (أدوم) وصورته ، وتصفه بأنه
الجاسوس المصري ، الذي أرسلناه لاغتيال الرئيس .

التقى حاجبا المدير ، وبدأ وكأن هذه الأخبار قد أصابته
بصدمة شديدة ، وهو يحرق في وجه الرجل ، قبل أن
يغمغم :

- رباح ؟... لقد أدار (جوانزاليس) اللعبة في دهاء
شديد .

ثم اندفع نحو المبنى ، مستطرداً :
- كان ينبغي أن أتوقع هذا .

سأله الرجل ، وهما يستقلان المصعد إلى حيث مكتب المدير :

- من الواضح أن موقفنا حرج للغاية يا سيدي ..
ما الذي يمكننا أن نفعله ؟

صمت المدير لحظات ، وهو يفكر في عمق ، ثم قال :
- هل أرسلتم تقريرًا بهذا للسيد رئيس الوزراء ؟
أوماً الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا سيدي .. لقد أرسلنا تقريرًا عاجلاً للسيد رئيس الجمهورية ، وآخر للسيد رئيس الوزراء ، ثم إن الخبر يذاع بالفعل ، عبر وكالات الأنباء .

مطأً المدير شفتيه ، وغمغم :
- إذن فقد اشتعلت الدنيا ، قبل أن نخطو خطوة واحدة .
وهز رأسه لحظات ، ثم اعتدل قائلاً في حزم :

- فليكن .. سنوقف الجميع .. أريد اجتماعاً عاجلاً وفورياً ، لكل المشرفين على العمليات الخارجية ، وكل ضباط الحالة (*) ، الذي يتابعون عمليات (أمريكا الجنوبية) .

(*) ضباط الحالة : هو رجل المخابرات ، المسئول عن عمليه بعينها ، فهو يتابع كل خطوة ، ويدرس كل تصرف وكل معلومة ، مع فريق من الخبراء ، ثم يصدر الأوامر الخاصة بالتحركات القاعية ، وأساليب المناورة وخداع الخصم .

أجابه الرجل في حماس ، عند باب مكتبه :
- كما تأمر يا سيدي .

وأسرع لتنفيذ الأوامر ، في حين عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وقال في صرامة حاسمة :

- دعنا نتيت نهم أنهم أخطئوا كثيراً ، عندما وقع اختيارهم علينا بالذات ، في عملية قذرة كهذه .. وربما كان هذا من سوء حظهم .

وعندما دخل مكتبه ، كان ذهنه قد استقر على قرار مناسب لهذا الموقف ..

قرار قد يتسبب في إشعال حرب مخابرات جديدة ، في قلب (أمريكا الجنوبية) ..
حرب بلا هوادة ..

★ ★ ★

جنس (أحمد نادر) ، مندوب المخابرات المصرية في (باراجواي) ، يتابع في توتر تلك النشرات المتوالية ، التي تحمل صورة (أدهم) ، عبر كل قنوات البث التلفزيوني ، وتعلن أنه جاسوس مصري ، أطلق النار على الرئيس (بونزا) ، وتطالب المواطنين بالإبلاغ عنه فور رؤيته ، وتعد من يفعل بمكافأة مالية مغرية ، وسجل (أحمد) بعض هذه النشرات ، على شرائط الفيديو ، وهو يتمم في مرارة :

- أعلم أنك برىء من كل هذا يا (أدهم) ، فمئتك لا يأتى
مثل هذه الأعمال القذرة .. ثم إننا لانجأ قط لمثل هذه
الاغتيالات الحقيرة .

قفز من مكانه ، عندما ارتفع من خلفه صوت هادئ ،
يقول :

- أشكر لك هذه الثقة الغالية يا صديقى .

استل (أحمد) مسدسه ، وهو يدور حول نفسه فى
سرعة ، وصوب فوهته إلى صاحب الصوت ، الذى ابتسم
مستطردًا :

- أنت أيضًا ستطلق النار .

استعت عينا (أحمد) فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :
- (أدهم) !؟ .. مستحيل !

كان (أدهم) يقف أمامه فى هيئة زرية لل غاية ، بقميصه
وسرواله المبثئين ، وخصلات شعره الملتصقة بجبينه ،
وقدميه النعاريتين ، وعلى الرغم من هذا فلم تفارق
الابتسامة شفقيه ، وهو يقول :

- هل تدهشك رؤيتى إلى هذا الحد ؟

أعاد (أحمد) مسدسه إلى سترته ، وهو يقول :

- تدهشنى !؟ .. بل قل : إنها تدهننى يا رجل !؟ .. ألم
تتابع ما يقولونه عنك طوال الوقت !؟ .. (نتى أنماعل فى



كان (أدهم) يقف أمامه فى هيئة زرية لل غاية ، بقميصه وسرواله

المبثئين ، وخصلات شعره الملتصقة بجبينه ..

الواقع ، كيف أمكنك الوصول إلى هنا ، وصورتك لا تفارق
شاشات التلفاز قط ؟!

هر (أدهم) كتفيه ، وقال مبتسمًا :

- ربّما لأن الجميع يبحثون عني في النهر والطرق ،
في حين كنت أنا أقفز من سطح إلى آخر ، حتى وصلت إلى
هنا .

حذق (أحمد) في وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف :

- أتقولها بكل هذه البساطة ؟!

أجابه (أدهم) :

- كل شيء بسيط يا صديقي ، لو نظرت إليه من الجانب
المناسب .

ثم أزاح خصلات شعره المبتلة عن جبينه ، مستطرذا :
- دعني أنعم أولاً بدش دافئ ، ووجبة ساخنة ، مع قدح
من الشاي ، وسأرقد على هذه الأريكة ، في ثياب جافة ،
وأقن عليك كل شيء .

قال (أحمد) في حماس :

- بالطبع يا صديقي .. بالطبع .. منزلي كله رهن
بإشارتك ، وثيابي أيضًا .

لوح له (أدهم) بيده ، واتجه إلى الحمام مباشرة ، في
حين جلس (أحمد) أمام شاشة التلفاز مبهوثًا ، وهو يغمغم :

- يا للعجب !.. لقد فعلها (أدهم) ثانية .. ياله من
رجل !

كان البرنامج الإخباري على الشاشة ، ينقل لقاء مع أحد
رجال الأمن ، الذي قصّ حادثة سقوط (أدهم) مع سيارة
(جوائز ليس) في قاع النهر ، وعدم صعوده مرة ثانية ،
فارتفع حاجبا (أحمد) في دهشة ، وهتف :

- كيف نجوت من تلك السيارة إذن ؟

أتاه صوت (أدهم) ، من خلف باب الحمام ، ممتزجًا
بصوت المياه المنهمرة من الدش ، وهو يقول :

- لا تتعجل .. سأروى لك كل شيء .

ولكن (أحمد) بذل جهدًا خرافيًا ، للسيطرة على لهفته
وظموحه ، حتى انتهى (أدهم) من حمامه ، وتناول
وجبته ، وبدأ يرتشف قدح الشاي في استمتاع ، فهتف به :

- أئن تخبرني بما حدث ؟

أجابه (أدهم) في هدوء عجيب ، لا يتفق مع الموقف :
- حدث أن مدير مخابرات (باراجواي) نجح في
خداعنا جميعًا ، ونفذ خطة شيطانية رهيبة ، فأطلق النار
على الرئيس (بونزا) ، واتهمنا نحن بقتله .

هتف (أحمد) مبهورًا :

- (جوائز ليس) فعلها !؟

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال فى صرامة :

- ويحاول أن يرسل فائزورة القتل إلينا .

قال (أحمد) فى اهتمام :

- ولكن الرئيس (بونزا) لم يلق مصرعه .. لقد أعلنوا

الآن أنه نجا من الموت بأعجوبة ، بعد أن نجح فريق

الأطباء فى استخراج الرصاصة من صدره ، على بعد

سنتيمترات من قلبه ، وهو يرقد الآن فى حجرة العناية

المركزة ، حتى يستعيد وعيه ، وحوله حراسة مكثفة .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

- حراسة من رجال (جوائزليس) بالطبع .

ثم هب من مقعده ، مستطرداً فى حزم :

- لقد فعلوا كما نقول فى (مصر) .. سلموا مفاتيح

الحظيرة للقط .. أتمنى أن تكون لديك حنة مناسبة لى

يا صديقى .

سأله (أحمد) فى اهتمام :

- ماذا تنوى أن تفعل ١؟

أجابه (أدهم) بسرعة :

- سأحاول إنقاذ الرئيس .

قال (أحمد) فى دهشة :

- تتقذه ١؟

أجابه (أدهم) فى اهتمام وحزم :

- بالطبع .. نجاة الرئيس (بونزا) هى الأمل الوحيد ،

فى إثبات أن (مصر) بريئة من تلك التهمة ، التى

الصفوها بها ، وأن (جوائزليس) هو ذلك القاتل الحقيقى ،

الذى أطلق النار على الرئيس .. وذلك الأخير أيضاً يعلم

هذا .. يعلم أن نجاة الرئيس تعنى نهايته ، لذا فلن يخاطر

بإبقاء الرئيس على قيد الحياة ، وسيسعى لقتله الليلة ، قبل

أن يستعيد وعيه ، ويروى ما نديه .

سأله (أحمد) ، وهو يفتح درجاً سرى ، ويلتقط منه

مسدساً آلياً ، ويأوله إياه :

- وماذا تنوى أن تفعل ؟

هز (أدهم) كتفيه ، والنقط المسدس فى بساطة ، وهو

يقول :

- كما أخبرتك من قبل يا صديقى .. سأحاول إنقاذ

الرئيس .

هتف (أحمد) :

- بهذه البساطة ١؟ .. وماذا عن الحراسة ، وجهك

المألوف للجميع ، و ...

قاطعه (أدهم) فى حسم :

- دع لى كل المشكلات ، وأحضر لى حنة جافة فحسب .

قال (أحمد) :

- سأذهب معك إذن .

استوقفه (أدهم) بإشارة صارمة ، وهو يقول :

- كلا .. لن نغامر بفضح أمرك بلا مبرر .. مهمتك هنا

نقتصر على متابعة الموقف ، ونشاط أجهزة المخابرات

الأخرى ، وأنت ناجح تماما في هذا ، ولن تفسد نجاحك

بسبب انفعال عاطفي .

سأله (أحمد) في قلبه :

- وهل ستذهب وحدك ؟

أجاب (أدهم) :

- نعم .. هذا أفضل .

وصمت لحظات ، بدا خلالها تأثير واضح على ملامحه ،

التي لم تثبت أن استعادت حزمها ، وهو يستطرد :

- المهم الآن أن تبلغ (القاهرة) أنني بخير ، وأن

(جوائز ليس) خدعنا جيغاً ، وأخبرهم أنني سأواصل

المهمة حتى النهاية .

سأله (أحمد) قللاً :

- ألن تنتظر أوامرهم ؟

صمت (أدهم) لحظة أخرى ، ثم أجاب في حزم :

- أبلغهم هذا فحسب .. وسيفهمون .

قالتها واختفى داخل حجرة (أحمد) ، ليبحث عن حلة

جافة ، و ...

وليبدأ حربه الخاصة ..

★ ★ ★

من الضروري أن يموت هذا الرجل الليلة .. .

ضرب (جوائز ليس) سطح مكتبه في قوة ، وهو ينقلى

هذه العبارة في وجه حارسه الخاص (بوراندى) ، وتابع

في عصبية شديدة :

- لقد أخبرنى أدهم أنه نطق اسمى ، أمام أطباء

القصر ، ومن حسن الحظ أن هؤلاء الأغبياء تصوروا أنه

بوصى به لخلافته .. من يضمن لى أنه لن يهدى بالقصة

كنا هنا ، فى ذلك المستشفى اللعين ؟

غمغم (بوراندى) :

- ومن سيصدق هذان رجل يرقد فى غيبوبة ؟

صاح (جوائز ليس) :

- إنه لن يرقد فيها للأبد .. الأطباء قدروا أنه سيستعيد

وعيه بعد ثمان وأربعين ساعة على الأكثر ، وأنهم

يستطيعون التحدث إليه بعد ساعتين من استعادته لوعيه ،

أى أنه أمامنا خمسون ساعة فحسب ، قبل أن ينقلب

مخططنا كله رأساً على عقب .

مط (بوراندى) شفتيه لحظات ، قبل أن يقول :

- قل لى يا سيدى : ألا يمكننا تنفيذ كل شيء ، قبل أن يستعيد الرئيس وعيه ؟! .. أعنى أن نحتل مبنى الإذاعة والتليفزيون ، ونسيطر على قوات الشرطة ، و ...

قاطعه (جوائزليس) فى حدة :

- وهل تصورت أننى أفعل كل هذا ، لو أنه فى مقدورى احتلال المباني والسيطرة على القوات ؟! .. أيها الغبي الحقير .. ألم تدرك قط أن الجيش والشرطة يدينان بالولاء والحب لذلك الغبي (بونزا) ؟! .. لقد سحرهم هذا المافون ، وأصبح من المستحيل انتزاعه من مقعده بالقوة ، والوسيلة الوحيدة للفوز بالسلطة ، هى ما فعلته أنا .. أن يغتاله جاسوس أجنبى ، وأصعد أنا إلى مقعد الحكم كإجراء طبيعى .

تتمتع (بوراندى) :

- عفى لى يبلغ ذرة من عبقريتك يا سيدى .

لوح (جوائزليس) بذراعه فى حنى ، وهتف :

- وعنى الرغم من هذا فقد ارتكبت أكبر خطأ فى حياتى كلها ، عندما أطلقت النار على صدر (بونزا) ، وليس على رأسه .

مال (بوراندى) نحوه ، وقال فى حزم :

- لكل مشكلة حل يا سيدى .. الرئيس يرقد الآن فى حجرة العناية المركزة فى المستشفى ، وكل القانونيين على حراسه من رجالنا .. سأذهب إلى هناك الآن ، وأقضى عليه تمامًا .. أيرضيك هذا ؟

مط (جوائزليس) شفتيه ، وقال :

- المفروض أن يبدو الأمر كحادث .

أوما (بوراندى) برأسه ، وقال :

- سيبدو هكذا .

التقط (جوائزليس) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

- لا بأس .. اذهب إذن .

ارتسمت ابتسامة جذل على شفتى (بوراندى) ، وهو يقول :

- أوامرك يا سيدى .

ولم تفارقه ابتسامته هذه قط ، وهو يغادر القصر الجمهورى ، ويستقل سيارته الكبيرة إلى المستشفى المركزى ، ولا وهو يعبر بوابة المستشفى ، حتى أن أحد الأطباء سأل زميله فى حيرة :

- قل لى : ألا يبدو لك هذا القيل سعيذا بما أصاب

الرئيس ؟

- هنا تنتهي رحلتك يا فخامة الرئيس .
ومدّ يده بكل هدوء ، وأغلق أسطوانة الهواء .
وبدأ الرئيس يختنق ..
ويختنق ..
ويختنق ..

★ ★ ★



ألقي زميله نظرة سريعة على (بوراندى) وابتهامته ،
ثم هز رأسه ، وقال فى لا مبالاة :
- هذا النوع من الخزائير البشرية لا يعرف الانفعالات
والمواقف .. أراهنك على أن تلك الابتسامة ملتصقة
بوجهه دائماً .. إنها جزء من عمله .
ابتسم الأول ، وهو يقول :
- أنت على حق .

وتجاوزهما (بوراندى) ، دون أن يسمع حرفاً واحداً
مما تبادلاه ، واستقل المصعد إلى الطابق الثالث ، حيث
حجرة العناية المركزة الخاصة بالرئيس ، وعندما بلغ
المكان ، استقبله اثنان من رجال الحراسة ، بمدفعيهما
الآليين ، فماتتهما بصوته الأجش :

- هل يسير كل شيء على ما يرام ؟
أجابيه أحدهما بسرعة :

- نعم يا سيدي .. كل شيء يسير على ما يرام .
أوماً برأسه بلا معنى ، ثم اتجه مباشرة إلى حجرة
الرئيس ، وأشار لحارسيها فى صرامة :
- اخرجوا .

غادر الرجلان الحجرة فى سرعة ، وأغلقا بابها
خلفهما ، فتطلع هو لحظة إلى الرئيس ، ثم ابتسم ابتسامة
مخيفة ، وهو يقول :

٦ - جريمة مستشفى ..

احتقن وجه رئيس الوزراء في شدة ، وهو يذلف إلى
حجرة مدير المخابرات ، ويقول في عصبية شديدة :
- أرأيت ما حدث ؟.. أرأيت ما فعله بنا (أدهم) هذا ؟
نهض مدير المخابرات يستقبل رئيس الوزراء في
هدوء ، وهو يقول :
- رويدك يا سيادة رئيس الوزراء .. رجلنا (أدهم
صبرى) لم يفعل شيئاً ، سوى ما تلقى أوامرك بشأنه .
لوح رئيس الوزراء بذراعه في حدة ، وهو يقول :
- أية أوامر هذه ؟.. أسمعنتى أمره بقتل رئيس
(باراجواى) ؟
انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :
- (أدهم) لم يقتل أحداً دون مبرر ، منذ التحق بالقوات
الخاصة المصرية (*) ، وهو ليس بقاتل .
ازداد احتقان وجه رئيس الوزراء ، وهو يقول :
- بم تفسر ما حدث إذن ؟

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) مغامرة رقم (٣٦) .

قال المدير في اهتمام :
- اعتقد أن التفسير واضح للغاية .. لقد دبر
(جوائزليس) العملية كلها ، وقرر أن يقتل الرئيس
(بونزا) ، ويلصق بنا هذه التهمة .
قال رئيس الوزراء في حلق :
- ولماذا نحن بالذات ؟
هز المدير كتفيه ، وقال :
- من يدري لماذا ؟.. ربما يستعين (جوائزليس)
بمستشار أمنى إسرائيلى .
سأله رئيس الوزراء فى قلق :
- هل تعتقد هذا ؟
ثم امتزج قلقه بالكثير من التوتر ، وهو يستطرد :
- أيا كانت الأسباب والمبررات ، فقد وضعنا
(جوائزليس) فى صورة رديئة للغاية ، وسيتهما العالم
أجمع بأننا دولة إرهابية ، نكدم نفسها فى الشئون الداخلية
للدول الأخرى ، ويصل بها الأمر إلى حد اغتيال الرؤساء .
وانثفت إلى المدير ، مردفاً :
- أعتقد أنه يوجد حل لمثل هذا المأزق ؟
أجاب المدير على الفور ، وهو يومئ برأسه إيجاباً :
- يوجد أكثر من حل .

هاتف رئيس الوزراء في لهجة :

- حقاً ؟

عاد مدير المخابرات يوماً برأسه ، قبل أن يقول :

- نعم .. يمكننا مثلاً أن نتصل من الموقف كله ، ونعلن

أن (أدهم) قد ارتكب هذا الفعل بمبادرة فردية ، وليس بأمر

مباشر ، وثق بأن (أدهم) لن يحاول تكذيب قولنا هذا قط .

هز رئيس الوزراء رأسه نفياً في قوة ، وهو يقول :

- لا يمكننا أن نفعل هذا بأحد رجالنا .

ابتسم مدير المخابرات في ارتياح ، وهو يقول :

- عظيم .. هذا ما كنت أتمنى سماعه .

ثم مال نحو رئيس الوزراء ، مستطرداً :

- في هذه الحالة يمكننا أن نلجأ إلى الحل البديل .

عاد رئيس الوزراء يسأله في لهجة أكثر :

- وما هو ؟

بدا لحظة أن مدير المخابرات يهم بشرح ما لديه ، إلا

أنه لم ينبث أن عقد حاجبيه فجأة ، عندما ارتفع من الجهاز

المجاور لمكتبه أزيز خاص ، ثم برزت منه ورقة

مطبوعة ، التفتها المدير في سرعة ، وراح يقرأ ما بها

في اهتمام شديد ، جعل رئيس الوزراء يسأله :

- ماذا هناك ؟

أجاب المدير :

- إنها برقية بالشفرة من (باراجواي) ، انتهى قسم

الشفرة من ترجمتها الآن .

قفزت لهجة رئيس الوزراء إلى ثروتها ، وهو يسأل :

- وماذا تقول ؟

أجاب مدير المخابرات :

- تقول إن (أدهم) بخير ، وإنه حر ، و (جوانزاليس)

هو الذي دبر العملية كلها ، و ...

بتر المدير عبارته بغثة ، وبرقت عيناه في انفعال ، قبل

أن يستطرد في لهجة تموج بالحماس :

- ها هو ذا الحل البديل يفرض نفسه .

ثم رفع عينيه إلى رئيس الوزراء ، مستطرداً :

- (أدهم) قرر أن يمضي في المهمة حتى النهاية .

وابتسم في ارتياح ، قبل أن يضيف :

- وأعتقد أن هذا كفيل بقلب الموازين .. كل الموازين .

لم يكذ (بوراندی) يدخل حجرة العناية المركزة

الخاصة بالرائس ، حتى أضيء مصباح لافتة المصعد مرة

ثانية ، معلناً وصول زائر آخر ، فرفع الحراس الأربعة

مدافعهم الآلية في تحفز ، وقال أحدهم :

- ثرى من القادم الآن ؟

أجابه زميله فى حزم :

- انتظر وسترى .

لم تمض ثوان ، حتى توقف المصعد ، وغادره طبيب
كهل ، أشيب الشعر ، كث الشارب ، أنقى عليهم نظرة
سريعة ، قبل أن يسعل مغمغماً :

- ما هذا بالضبط ؟ .. لجنة استقبال ؟

أجابه أحد الحراس الأربعة فى خشونة :

- هذا يتوقف على موقفك يا هذا ، فإما أن تكون لجنة
استقبال ، أو كتيبة إعدام .

ابتسم الطبيب الكهل فى سخرية ، وهو يقول :

- هكذا ؟ .. من الواضح أنكم تشاهدون العديد من
الأفلام الإيطالية الرديئة .. هيا .. اخفضوا فوهات أسلحتكم
هذه ، وأفسحوا لى الطريق ، فأنا هنا لفحص الرئيس .

عقد أحدهم حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

- هل تحمل تصريحاً بهذا ؟

هتف الطبيب فى غضب :

- أى تصريح يا هذا ؟ .. أنا لم أطلب الحضور إلى
هنا .. أنتم استدعيتونى لفحص الرئيس ، وطلبتم
حضورى على الفور .. لقد أغلقت عيادتى الخاصة لأفعل
هذا ، ثم تطالبوننى بتصريح .

وأزاح أحدهم عن طريقه ، مستطرداً :

- هيا .. أفسحوا الطريق .. لن أقف هنا طوال الليل .

صاح الرجل فى صرامة :

- لن نخدعنا بهذه السخافات يا هذا .. لقد توقعوا
حضورك ، وحذرونا من براعتك فى التتكر .

وارتفعت فوهات المدافع بسرعة فى وجه الطبيب ،
الذى تراجع هاتفاً :

- ماذا أصابكم .. ألا تعرفوننى ؟ .. أنا الدكتور

(فريدريك داربى) .. أعظم أطباء القلب فى (باراجواى) .
اعتدت يد أحدهم تتجذب شاربه فى قوة ، وهو يقول

ساخرًا :

- حقاً .. لم لا ترينا ماتخفيه خلف عش العصافير هذا
إذن ؟

أطلق الطبيب صرخة ألم ، عندما جذب الرجل شاربه ،
وصاح :

- هذا جنون .. جنون بغىض .

تراجع الرجال فى دهشة ، وهتف أحدهم :

- إنه الطبيب بالفعل .

ولم يكذب يتم قوله ، حتى دوى فى المكان صوت
رصاصات ..

وتكهرب الموقف كله ..

★ ★ ★

لو عدنا بالأحداث خمس دقائق فحسب ، وانتقلنا
بالمشهد إلى حجرة العناية المركزه ، فى نفس اللحظة التى
أغلق فيها (بوراندى) صمام أسطوانة الأكسجين ،
لسمعنا من خلفه صوتا يقول فى صرامة :
- هل تعتقد أن هذا سيفتح ؟

استدار (بوراندى) فى سرعة كبيرة ، على الرغم من
ضخامته ، وامتدت يده بسرعة لانتزاع مسدسه ، ولكنه
فوجئ برجل يقف عند النافذة نصف المفتوحة ، ويصوب
إليه مسدسا آليا ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، اختفى
معظمها تحت شاربيه الضخم ، فهتف (بوراندى) :
- من أنت ؟ وكيف تجاوزت الحراسة كلها ، ووصلت
إلى هنا ؟

أجاب الرجل فى سخرية ، وهو يقفز داخل الحجرة ،
ويعيد إغلاق النافذة خلفه :
- حاول أن تفتح عنقك الغليظ بالعمل ، بعد طول رقاد ،
واستنتج كيف فعلت هذا .. هل أملاك القدرة على انطيران.
مثل العصافير ، أم أنكم نسيتم وضع حراسة كافية على
السطح ؟

ارتفع حاجبا (بوراندى) فى دهشة ، وهو يهتف :
- يا لنشيطان !.. هذا الصوت .. أنا أعرفه .

انتزع (أدهم) شاربيه الضخم المستعار ، وهو يقول
ساخرا :

- رابع .. عظيم .. لقد تعرّفت صوتى .. هل رأيت كم
يفيد التفكير ؟

ثم تحرّك فى خفة ، وأعاد فتح أسطوانة الأكسجين ،
مستطردا :

- معذرة ، ولكننى أهوى دائما إفساد أعمال الأوغاد .
قال (بوراندى) فى حدة :

- لو تصوّرت أنك ستنجو من هنا ، كما فعلت فى
القصر ، فأنت واهم وسخيف ، لأنه هناك أربعة رجال
أشداء فى الخارج ، يمكنهم قتل قطيع من الجاموس
الوحشى ، لو أنهم فقط شكوا فى أمره .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :
- يؤسفنى أن أحدهم لا يعيرك أننى اهتمام الآن أيها
الوغد ، فقد شغلّتهم باستدعاء طبيب كبير ، سيكُون حتما
فى أمره ، ويحيطون به ، ويحاولون استجوابه ، وفى هذه
الأنثناء ...

وثب (بوراندى) نحوه بغتة ، قبل أن يتم عبارته ،
وهو يهتف فى غضب :
- أكون قد كسرت عنقك .

كانت انقضاضته مباغتة بالفعل ، حتى أنه نجح في القبض على معصم (أدهم) في سرعة ، وانتزاع المسدس منه ، وهو يواصل :

- هل رأيت ؟.. أنت لست الرجل الخارق ، كما كنت تظن .

ولكن (أدهم) هوى على فكه بكلمة كالقنبلة ، قائلاً :
- وأنت لست زعيم الأفيال ، كما يبدو من هينتك .

كانت الكلمة كافية لتحطيم فك ثور ، ولكن (بوراندى) أطلق خوارجاً عجيبة ، أعقبه بزمجرة مخيفة ، وهو يغوص بقبضته في معدة (أدهم) ، الذى شعر وكأن مطرقة أصابته فى قسوة ، ثم شعر بالحارس الضخم يحمله إلى أعلى ، هاتفاً :

- الوداع أيها المصرى .

ثم انقاد بكل قوته نحو النافذة ..

إلا أن مرونة (أدهم) ورشاقتة كانتا مذهلتين بالفعل ، فقد انثنى بجسده فى سرعة ، وقبض على ياقة (بوراندى) ، فأوقف هذا اندفاع جسده نحو النافذة ، وجعله يسقط إلى الأمام ، فاستغل زاوية السقوط ، وركل الضخم فى معدته ، ثم هوى على عنقه بضربة ساحقة ..

وسقط (بوراندى) على الأرض اللامعة ، وانزلق فوقها لحظات ، حتى ارتطم بقراش الرئيس ، ووقع بصره على مسدس (أدهم) الآلى ، على بعد خطوة واحدة منه ، فوثب يخططفه ، هاتفاً :

- انتهى أمرك أيها المصرى .

ورفع المسدس نحو (أدهم) ، وضغط زناده ..

واتطلقت الرصاصات القاتلة ..

★ ★ ★

من حسن حظ (أدهم) أن كل خصومه ، أو معظمهم ، يميلون إلى الأساليب المسرحية فى التعامل ، فلو أن (بوراندى) انتقط المسدس ، وأطلق انثار مباشرة ، لكان من المحتمل أن ينال من (أدهم) ، إلا أن الجملة التى أصر على نطقها أولاً ، حفزت عقل (أدهم) وعضلاته ، فوثب يميناً ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها الضخم رصاصاته ، التى دوت فى المكان ، وجذبت انتباه ائحراس الأربعة ، ودفعتهم للانتقضاض على الحجرة بمدافعهم الآلية ..

وعلى الرغم من وثبته المرنة ، شعر (أدهم) بألم فى ذراعه اليسرى ، وأدرك أن الضخم قد نجح فى إصابتها ، ولكنه تجاهل هذا الألم ، وقفز إلى الأمام ، ثم ارتفع جسده

عن الأرض، وتحركت قدماه في آن واحد، ويتناسق مدهش للغاية، فركنت اليسرى المسدس من يد (بوراندى)، وأصابته اليمين وجهه بضربة عنيفة، ألقته مترين إلى الخلف، فارتطم بالجدار، في نفس اللحظة التي اقتحم فيها الرجال الأربعة الحجرة ..

وفى واحدة من المرات النادرة في حياته، تحرك عقل (بوراندى)، ودرس الموقف بسرعة، ووجد أن أفضل ما يمكن فعله، في هذه اللحظة، هو أن يقتل الرئيس و (أدهم) معا، ثم يعثن أن الأخير هو المسئول عن مصرع الأول، و ...

وقفزت الفكرة من رأس (بوراندى) إلى لسانه بفتة، وهو يصرخ :

- اقتلوا الاثنين .. الرجل والرئيس .

تحركت فوهتا مدفعين آليين نحو (أدهم)، ومالت الأخريان نحو الرئيس، فهتف (أدهم)، وهو يلقي نفسه أرضا :

- ليس بهذه السهولة .

وقبل أن يضغط أحدهم على زناد مدفعه، كان (أدهم) قد انقبط مسدسه الآلى من الأرض، ودار حول نفسه في سرعة، وأطلق النار على مدفعي الرجلين، الذين يصويان

نحو الرئيس، متجاهلا الآخرين، الذين أدارا مدفعيهما نحوه و (بوراندى) يصرخ :

- اقتلاه .. اقتلاه .

تحرك (أدهم) في سرعة، ليطلق النار نحو الآخرين، ولكن ماسورة مسدسه ارتطمت بأحد قوائم فراش الرئيس، و ...

وانطلقت الرصاصات ..

وكان دوى الرصاصات، المنطلقة من المدافع الآلية مزعجا ومخيفا، وهو يتردد في المستشفى كله، وتصوّر (أدهم) لحظة أنها النهاية، ولكنه فوجئ بالرجلين اللذين يهددانه يسقطان أرضا، وسط بركة من دمانهما، في نفس اللحظة التي وثب فيها ثلاثة من المقنعين داخل الحجرة، في ثياب سوداء فضفاضة، مع أحزمة سوداء عريضة، وكل منهم يحمل مدفعا آليا صغيرا .

وكان مشهدا مدهشا، أشبه بأحد أفلام (النينجا) الأمريكية اثباتية (*)، وخاصة عندما هتف (بوراندى) :

(*) نينجا : مقاتلون خرافيون، المعروف فيهم بجادة كل أنواع القتال، وكل وسائل الصراع، واستخدام الأسلحة ذات الطابع الخاص، مثل السيوف وللتجوم القاتلة وغيرها . وهذا النوع من القتال مسرحى أكثر منه واقعى، ولا توجد فرق أو تدريبات خاصة للنينجا، وإن أوحى الفكرة بتحويل هذا النوع من القتال الخيالى إلى واقع . يسعى البعض إلى تحقيقه .

- ما هذا بالضبط ؟ .. مسرح هزلى ؟

ولكن أحد الرجال الثلاثة وثب نحوه ، وهو يطلق صيحة قتالية مخيفة ، وهوى على رأسه بكعب مدفعه ، فتفجرت منه الدماء ، وسقط الضخم فاقد الوعي ، فتراجع الحارسان الآخران فى دعر ، وهما يستسلمان هاتفين :
- لا .. لا تطلقوا النار .. إننا نستسلم .

اكتفى أحد المقتنعين الثلاثة بتصويب مدفعه إلى الرجلين ، فى حين اتجه الآخران فى سرعة نحو فراش الرئيس ، فهتف (أدهم) ، وهو يهبط واقفاً ، ويصوب مسدسه إلى الجميع :

- مهلاً .. يبدو أنكم نسيتم وجودى .

استدار إليه الرجلان فى سرعة ، دون أن ينطق أحدهم حرفاً واحداً ، ثم دوى صوت تحطم زجاج بقة ، من خلف (أدهم) ، وهوت ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، فترشح فى مكانه فى عنف ، وحاول أن يلتفت ليواجه خصمه ، إلا أنه تلقى ضربة أكثر عنفاً ، فسقط على وجهه أرضاً ، وإن لم يفقد وعيه تماماً ..

وبينما انتشر فى عقله ضباب كثيف ، استطاعت عيناه تمييز ثلاثة من الرجال ، يدفعون فراش الرئيس خارج الحجرة ، وتناهى إلى مسامعه هدير مروحة هليوكوبتر ،



تلقى ضربة أكثر عنفاً ، فسقط على وجهه أرضاً ، وإن لم يفقد وعيه

تماماً ..

بمتزج بصفارات الإنذار ، وأبواق سيارات الشرطة والجيش ، التي تهرع إلى المكان ، فقاوم الأمام ودواره ، وحاول أن يرفع مسدسه مرة أخرى ، وهو يقول :
- لن أسمح لكم باختطاف الرئيس ، ولن ..

هوت ضربة ثالثة على رأسه ، فتكاثف الضباب في سرعة ، وشل عقله وتفكيره تماماً ، وسقط مسدسه من يده ، و ...

وغاب عن الوعي تماماً ..
في قلب المستشفى المركزي ..
وقلب الخطر .

★ ★ ★



٧ - المقاومة ..

احتقن وجه (جوانزاليس) في شدة ، وهو يراجع التقرير العاجل ، الذي قُدمه طاقم الأمن ، ولوح به في وجه (يوراندی) ، صائحاً في غضب :

- هذا التقرير فضيحة .. فضيحة لي ولكم ، والدولة كلها .. كيف يحدث هذا أيها الأوغاد ؟! كيف ينجح مجهولون في اختطاف رئيس الدولة ، تحت سمع وأبصار طاقم الأمن كله ؟

تحسّس (يوراندی) الضمادة ، التي تحيط برأسه ، وتمتم في حلق :

- لقد فعل الجميع ما بوسعهم يا سيدي ، ولكن هؤلاء الآخرين تصرفوا بسرعة وبراعة ، ومن اتواضح أننا نتجاهل حماية وتأمين الأسطح ، وهذا خطأ بشع .
صاح (جوانزاليس) :

- بل قل : إنها مصيبة .. من يمكنه تصديق هذا .. فريق من الانتحاريين يهبط فجأة على المستشفى المركزي ، ويختطف رئيس الدولة ، ثم ينجح في الفرار

بطائرة هليكوبتر كبيرة ، دون أن نتمكن حتى من تحديد
مسارها أو المكان الذي اتجهت إليه .. بم تسمى هذا ؟
لوح (بوراندى) بذراعه ، وقال :
- تقصير شديد يا سيدى .

صرخ (جوائزليس) فى ثورة :

- بل جريمة رهيبة فى حق جهازنا الأمنى كله ..
والأسوأ أننا نجهل تمامًا طبيعة المختطفين وانتماءهم ،
ومن الواضح أنهم لا يسعون للتخلص من الرئيس ، وإلا
لأطلقوا النار عليه مباشرة .. إنهم يريدونه حيًا ، ولكن
لماذا ؟ لماذا ؟

قال (بوراندى) ، ووجهه يحمل علامات التفكير
العميق :

- ربما لطلب قذبة كبيرة .

هز (جوائزليس) رأسه فى عصبية ، وقال :

- هذا ما جال بخاطرى فى البداية ، ولكن وجود رجل
المخابرات المصرى يُلغى هذه الفكرة تمامًا ، ويضع أمامى
احتمالات أخرى مخيفة .

قال (بوراندى) فى حماس :

- ولكنه لا يعمل معهم .

انفثت إليه (جوائزليس) فى حركة حادة ، وقال :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟

لوح (بوراندى) بسبابته ، وهو يجيب :

- لقد اشتبك معهم ، وحاول منعهم من اختطاف
الرئيس ، ولكن بعضهم باغته بهجوم خلفى ، وأفقدوه
الوعى .

انعقد حاجبا (جوائزليس) فى شدة ، وهو يقول :

- وعلى الرغم من هذا ، فقد حرصوا على حملهم معهم ،
عندما هربوا بالهليكوبتر .. ألا يثير هذا الشك ؟ لماذا
هو بالذات ؟

حك (بوراندى) رأسه ، وقال :

- ربّما لأنهم تعرّفوه ، بعد أن واصلنا إذاعة صورته
طوال الوقت .

قال (جوائزليس) فى حدة :

- لماذا لم يقتلوه إذن ؟ لماذا اختطفوا الرئيس ،
والرجل المفترض أنه قاتله ؟ ما الذى يسعون إليه ؟ ..
ما خططهم وأهدافهم ؟

غمغم (بوراندى) :

- هذا يحتاج إلى دراسة جيدة يا سيدى .

أشار (جوائزليس) بسبابته ، وقال :

- بل يحتاج إلى تجنيد كل إمكانياتنا يا رجل .. لن تعجز

الدولة كلها عن الإيقاع برجل واحد ، وفريق من المختطفين ..

ثم استدار إليه ، مستطرداً في حزم :

- منفرض حظراً تاماً على كل ما يتعلق بهذا الموقف ، وسئعلن أن الرئيس بخير ، وأن خطة اختطافه قد فشلت .. لا صحافة أو لقاءات .. وفي الوقت نفسه أريد أن أجمع بقيادة الجيش والشرطة .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يتطلع إلى السقف في صرامة ، مضيقاً :

- وبعدها لن تجد شيئاً واحداً لتختبئ فيه يا رجل المخابرات المصرية .. وهذا وعد من (ألبرتو جوانزاليس) ..

★ ★ ★

يبدو أنه يستعيد وعيه .. .

كانت تلك العبارة ، التي تطفها صوت أنثوى خافت ، هي أول ما تسفل إلى أذني (أدهم) ، عندما انجاب ذلك الضباب الكثيف عن رأسه ، وبدأ عقله يستوعب ما حوله في بطم .. وفي لحظة واحدة ، استعاد ذهنه كل ما حدث ، منذ تسفل إلى المستشفى المركزي ، وحتى فقد الوعي ، وتوقع أنه الآن مقيد إلى فراش ما ، ولكنه عندما أراد التيقن من هذا ، كشف أن معصميه وقدميه تتمتع بحرية الحركة ، ففتح عينيه

في بطم ، وسمع نفس الصوت الأنثوى يقول في ابتهاج واضح :

- بل لقد استعاده بالفعل .

ولثانية أو اثنتين ، بدت له الرؤية مهتزة مضطربة ، ثم لم يلبث أن استعاد قدرته على الإبصار ، فرأى أمامه فتاة في منتصف العشرينات من عمرها ، سمراء البشرة ، سوداء الشعر والعينين ، ترتدى ثوباً إسبانياً بسيطاً ، وتبتسم ابتسامة ساحرة ، وهي تقول له :

- شكراً لله .. (إنك بخير .. هل تشعر بألم أو صداع ، أو

أى شيء آخر ؟

اعتدل جالساً ، وهو يتمتم :

- بعض الصداع فحسب ، ولكنه لن يلبث أن يزول ..

لقد اعتدت هذا .

وداعب مؤخرة رأسه بكفه ، قبل أن يدير عينيه فيما حوله في إمعان ..

كان يرقد داخل حجرة نوم أنيقة ، توحى بالثراء وحسن الذوق ، وهناك رجل مفقول العضلات ، يجلس فوق مقعد خشبي ، عند باب الحجرة ، وهو يحمل مدفعاً آلياً ضخماً ، والفتاة تجلس على مقعد مجاور لفراشه ، وما زالت تحمل ابتسامتها الساحرة ، فسألها في بساطة :

- هل يمكنني أن أعرف أين أنا ؟

انفجرت شفتاها الجميلتان ، وبدا من الواضح أنها تهتم
بإجابته ، عندما قال الرجل فى غلظة :
- ليس بعد .

التفت إليه (أدهم) بنظرة ساخرة ، قبل أن يسأل الفتاة :
- من هذا بالضبط ؟ .. ادب الذى تلهين به ؟
عقد الرجل حاجبيه فى غضب ، فى حين ابتسمت الفتاة
وقالت :

- إنه أحد رجال أبى ، وأظنك لاحظت أنه لا يملك سلطة
إصدار القرار .
أنقى (أدهم) نظرة أخرى ساخرة على الرجل ، ثم
نهض قائلاً :

- وهل يملك سلطة التفكير ؟

تحفز الرجل فى حركة عصبية ، ووجه فوهة مدفوعة
صوب (أدهم) ، الذى تجاهله تماماً ، وهو يسأل الفتاة :
- ما اسمك ؟ .. ومن هو والدك ؟
أجابته بسرعة :

- أنا (جوانيتا) .. طالبة بالمسنة النهائية بكلية
الفنون ، وأبى هو ...
قاطعها الرجل فى خشونة :
- ليس بعد ..

بدا عليها الغضب وهى تصبح به :

- دعنى وشأنى .. سأقول ما يحلو لى قوله .

أجابها الحارس فى صرامة :

- ليس قبل أن أتلقى الأوامر بهذا .

احتقن وجهها ، وهمت بالانفجار فى وجهه ، ولكن
(أدهم) امتص غضبها فى سرعة ، وهو يقول :

- لا تفقدى أعصابك بسبب شخص كهذا .. إنه ككل
أبناء مهنته المعقدة ، يتصور أن المدفع الذى يحمله ،
يجعله أكثر ذكاء وحكمة من الآخرين ، حتى أنه يستطيع
أن يفرض عليهم سلطته ووجهات نظره ، ولا توجد سوى
وسيلة واحدة لإقناعهم بالعكس .

سألته فى فضول واضح :

- وما هى ؟!

كانت تتوقع منه ردًا شفهياً ، إلا أنها فوجئت به بنزلق
بغثة نحو الحارس ، ثم يركل مدفعه الآلى ، مستطرذا :
- أن نجزدهم من سلاحهم .

هب الحارس واقفاً فى غضب ، ونوح بقبضتيه ،
صائحاً :

- لدى أسلحة أخرى ، لا يمكنك تجريدى منها .

نفادى (أدهم) لكلمة الحارس فى بساطة ، ثم هوى على
فكه بلكمة كالقنبلة ، قائلا فى سخرية :

- حقا ؟! .. وما هى ؟!

شهقت (جوائيتا) ، وهتفت مذعورة :

- كفى .. كفى .

ولكن الحارس سقط إلى جوار مدفعه الآلى ، فاخطفه
بسرعة ، وصاح :

- فليكن أيها المصرى .. أنت أردت هذا .

انبعث هنا صوت صارم ، يقول بلهجة أمرة :

- ضع سلاحك يا رجل .

خفض الحارس فوهة مدفعه الآلى فى سرعة ، وهو
يقول مضطربا :

- لم أقصد هذا يا سنيور .. هو الذى ...

التفت (أدهم) يتطلع إلى الرجل ، الذى أشار للحارس
فى صرامة ، وقاطعه قائلا :

- لا أريد اعتذارات أو تفسيرات .. غادر الحجرة الآن .

نهض الحارس فى سرعة ، وعدا مغادرا الحجرة ، فى
حين التفت الرجل إلى (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

- معذرة يا سنيور (أدهم) .. هذا الرجل لم يفهم سبب
تواجدك هنا ، ولم يدرك أنك ضيفى .. معذرة .

ابتسم (أدهم) متهمكا ، وهو يقول :

- ضيفك ؟! .. عجباً !.. هل اعتدت إلقاء ضيوفك

وعبيهم ، قبل أن تأتى بهم إلى هنا ؟

هز الرجل كتفيه ، وهو يجيب :

- رجائى اضطروا لهذا ، فقد اعترضت طريقهم ، ولم

يكن هناك وقت للشرح .

ثم مذهب يده ليصافح (أدهم) مستطردا :

- ولكن دعنا نتعارف أولا .. أنا ..

قاطعه (أدهم) فى سرعة :

- (جون بدروس) .. أكبر رجل أعمال فى (باراجواى)

و (أمريكا الجنوبية) كلها .. تدير عددا من المشروعات

الضخمة ، وتقدر ثروتك بالمليارات ، ولكن هناك نقطة

مؤداء فى ملفك .

سأله الرجل فى اهتمام شديد :

- وما هى ؟

أجاب (أدهم) فى صرامة :

- أنت أقرب صديق لمدير المخابرات القنصر (أنبرتو

جوانزاليس) .

هتفت (جوائيتا) :

- أبى ؟!

أما (جون بدروس) ، فقد أرسمت على وجهه العريض ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- يسعدنى أن تبلغ شهرتى هذا الحد ، حتى يكون لديك ملف عنى فى المخابرات المصرية ، ولكن هناك نقطة فى هذا الملف تحتاج إلى تصحيح .

سأله (أدهم) :

- وما هى ؟

لوح بكفه ، وهو يقول :

- لست صديقاً لذلك الرجل (جوانزاليس) .

هم (أدهم) بالاعتراض ، ولكن (بدروس) استوقفه بإشارة من يده ، وهو يكمل :

- صحيح أن كل الظواهر تقول هذا ، ولكن الواقع يختلف تماماً .. إننى أتقرب لذلك الرجل ، حتى يمكننى معرفة أسرارهِ ، واستغلالها لتوجيه ضربات عنيفة وقاصمة إلى نظامه .

قال (أدهم) فى دهشة وحذر :

- (جون بدروس) .. هل تحاول إقناعى بأنك أحد رجال المقاومة ، المناهضون للحكم فى (باراجواى) ؟

ابتسم (بدروس) ، وهو يقول :

- مرة أخرى يحتاج الأمر إلى تصحيح ياسنيور (أدهم) ،

فأنا لست أحد رجال المقاومة ، بل أنا انزعيم .. زعيم كل فرق المقاومة فى (باراجواى) .

وكانت مفاجئة حقيقية لـ (أدهم) ..

مفاجأة مذهشة ..

★ ★ ★

توسّطت مائدة الإفطار تلك الحديقة الغناء الشاسعة ، فى

قصر (جون بدروس) ، واجتمع حولها هذا الأخير ، مع (أدهم) و (جوانثا) ، وراح يحسب قهوة الصباح فى بطء ، وهو يقول :

- طبيعة الحكم هنا مؤسفة ، كما لا يد أنك تعلم ياسنيور (أدهم) ، فعلى الرغم من أن (بونزا كورتينا) هو الرئيس انشعرى للبلاد ، إلا أن المسيطر الفعلى على مقاليد الحكم هو (ألبرتو جوانزاليس) .. صحيح أن الجيش ورجال الشرطة لا يميلون إليه ، ولكنهم يطيعون أوامره بحكم منصبه ، واحتراماً للرئيس (بونزا) ، الذى وضعه فى هذا المنصب ، ولقد نجح (جوانزاليس) فى عزل الرئيس تماماً عن شعبه ، بحجة الحفاظ على أمنه وسلامته ، وأصبح هو مصدر المعلومات الوحيد له .. وعندما نشأت فرق المقاومة بزعامتى ، لم يكن غرضنا الرئيسى هو إسقاط الرئيس (بونزا) ، ولكن إزاحة (جوانزاليس) عن

طريقه .. ويبدو أن (جوانزاليس) قد فقد صبره أخيراً، ولم يعد يحتمل البقاء في منصب الرجل الثاني، على الرغم من قوته وسلطاته، ولكن العقبة الوحيدة أمامه كانت في الولاء والحب، اللذين يحملهما الشعب والجيش للرئيس (بونزا)، مما يمنعه من القيام بانقلاب مباشر، للاستيلاء على الحكم، لذا فقد لجأ إلى خطته الجهنمية تلك، ليتخلص من الرئيس، ويلصق الاتهام بمخابرات دولة أخرى، ثم يظهر هو في صورة المقاتل الصنديد، الذي ألقي القبض على المتمردين، وأعدم الخونة. ويصعد بعد هذا في ثقة وهدوء وشرعية، إلى مقعد الحكم .. ولقد نفذ العملية بذكاء كبير، وكاد يقنعنا بالأمر، لولا أنه ارتكب عدة أخطاء غبية، فقد أعلن أنه حصل على ملفك بسرعة كبيرة .. وربما أسرع مما يقتضيه الموقف، ثم ترك بصماتك على المسدس، كما لو أنك أحد اللصوص الحمقى، في حين أنه من الطبيعى، بالنسبة لمحترف مثلك، أن يرتدى زوجاً من القفازات على الأقل، كما يفعل أى نص عاды في أيامنا هذه .. أضف إلى هذا أنه من غير الطبيعى أن يتحل شخص ما هيئة رئيس الدولة، ويجوز ببساطة كذلك أنى ظهرت في أفلام الفيديو، التى أذاعوها، دون أن تنتبه أجهزة المراقبة إلى وجود رئيسين في آن واحد .. ثم ما الداعي لتنتكر في هيئة

الرئيس نقتله، ما نمت هنا باعتبارك ممثلاً لوزارة الخارجية المصرية ؟!

ابتسم (أدهم)، وهو يقول :

- يعجبني ذكاؤك يا سنيور (بدروس) .

أجابه (بدروس) :

- أشكرك يا سنيور (أدهم)، ولكننى أيضاً معجب بذكائك وقدراتك الثقة، وأعتقد أن هذا الذكاء هو الذى جعلنا نتنبأ معاً، بأن (جوانزاليس) سيحاول التخلص من الرئيس مرة أخرى في المستشفى، وهو الذى دفع كلأ منا إلى محاولة إنقاذ الرئيس .

بدا الاهتمام على وجه (أدهم)، وهو يسأله :

- بالمناسبة !.. أين الرئيس الآن ؟

نوح (بدروس) بيده، وهو يجيب :

- لقد نقلناه إلى حجرة عناية مركزة خاصة، أقمناها له في مكان لن يتوصل إليه (جوانزاليس) قط، وهناك فريق طبي كامل يشرف على متابعة حالته والعناية به، حتى يستعيد وعيه وصحته، ويعلن تفاصيل المؤامرة للجميع .

تراجع (أدهم) في مقعده، وقال :

- وهل سنقضى وقتنا في الاستمتاع بأشعة الشمس، وتناول الوجبات الشهية، حتى يشفى الرئيس ؟

قالت (جوانيتا) فى حيرة :

- وما الذى يمكن فعله ؟

أجابها فى حزم :

- العمل على كشف (جوائز اليس) ، وفضح أمره .

قال (بدروس) :

- سيحدث هذا تلقائياً يا سنيور (أدهم) ، عندما يعلن

الرئيس الأمر .

مط (أدهم) شفتيه ، وقال :

- ولكننا سنمنح (جوائز اليس) وقتاً كافياً لهضم

المشكلة ، وإعادة ترتيب أوراقه ، والبحث عن أساليب

جديدة لإتقان خدعته .

قلب (بدروس) كفيه ، وهو يقول :

- وكيف يمكننا أن نفعل هذا ؟.. هل تظن أنه من الـ ...

قاطعه (أدهم) بغتة ، وقد بنت على ملامحه معالم

الانتباه الشديد .

- هل سمعان هذا ؟

أرهف (بدروس) وابنته سمعهما ، ثم هتفت

(جوانيتا) :

- كأنها آلاف الأسراب من النحل ، أو ...

أكمل (بدروس) ، فى توتر :

- أو سرب من طائرات الهليوكوبتر .

لم يكذب ينطقها ، حتى برزت طائرات الهليوكوبتر
الحربية ، التى تندفع نحو القصر ، فدفع (أدهم) المائدة
بعيداً ، وهو يهتف :

- أسرع إلى القصر .. إنه هجوم مباشر .. من الواضح

أن أمرك قد انكشف بوسيلة ما .

انطلق الثلاثة يعدون نحو القصر ، ورفع رجال

(بدروس) مدافعهم الآلية ، وتكن الطائرات الحربية ،

انقضت فى عنف ..

وتعالى دوى الانفجارات ..

وفى ارتياح شديد ، صرخت (جوانيتا) :

- ماذا يحدث ؟.. ماذا يحدث ؟

اختفت حروف كلماتها الأخيرة ، مع دوى انفجار عنيف

خلفهم ، دفعهم فى قوة إلى الأمام ، فسقطوا على

وجوههم ، وهب (أدهم) واقفاً بسرعة ، وهو يجنب

(جوانيتا) ، صالِحاً :

- كم عند رجالك هنا يا (بدروس) ؟

أجاب (بدروس) ، وهو ينهض ليوصل الجرى نحو

القصر :

- حوالى ثلاثين رجلاً .. لن يكفوا لصد مثل هذا

الهجوم .

لم يكذب عبارته ، حتى اخترقت سيارة مصفحة سور
القصر ، واندفع خلفها عدد من رجال الكوماندوز ،
فصرخت (جوانيتا) :

- سيقتلوننا يا أبى .. سيقتلوننا .

جذبها والدها من يدها ، وهو يركض نحو القصر ،
هائفاً :

- لو نجحنا فى بلوغ القصر ، لن يعثروا علينا قط .
سأله (أدهم) :

- أديك وسيلة للاختفاء ؟

أجابته (بدروس) :

- نعم .. هناك ممر سرى ، و ...

دوى انفجار آخر خلفهم ، ودفعتهم موجة التضاضط فى
عنف إلى الأمام ، فسقطوا إلى جوار سلم القصر ، ولهث
(بدروس) فى شدة ، وهو يقول فى ألم :

- يبدو أننى أصبت .. واصلا الطريق .. (جوانيتا)
تعرف الممر السرى .. أسرعاً .

ومع آخر حروف كلماته ، انقضَّ عليهما أحد رجال
الكوماندوز ، وهو يطلق صيحة قتالية مخيفة ، ولكن
(أدهم) استقبله بلكمة ساحقة فى فكه ، وأخرى فى
معده ، ورأى آخرين يندفعان نحوهم ، فصاح وهو يلتقط
المدفع الآلى للرجل الذى سقط :

- أسرعى يا (جوانيتا) .. أسرعى .

صرخت :

- أبى .. لن أترك أبى .

صاح بها (أدهم) ، وهو يطلق نيران مدفعه على
المهاجمين .

- قلت : أسرعى .

وهتف (بدروس) :

- اهربى بالله عليك .. لا تسمحى لهم بإلقاء القبض

عليك قط .

تردأت لحظة ، فصرخ فيها والدها فى حدة :

- اهربى .

وهنا جرت (جوانيتا) بأقصى سرعتها ، وقفزت
درجات السلم فى رعب ، ثم اختفت داخل القصر ، فى نفس
اللحظة التى أحاط فيها فريق كامل من رجال كوماندوز
(باراجواى) بـ (أدهم) و (بدروس) ، وارتفعت
فوهات عشرات المدافع الآلية فى وجهيهما ، وأدرك
الاثنان أن المعركة قد انحسرت ، وأنهما قد خسراها ..
وبشدة ..

★ ★ ★

٨ - فى قبضة شيطان ..

اعتصرت قبضة باردة كالثلج قلب (قدرى) ، وهو يحرق فى شاشة التلفزيون الأمريكى ، التى نقلت خبر إلقاء القبض على (أدم) ، واعتقاله بتهمة محاولة قتل الرئيس (بونزا كورتينا) ، والتصريح الذى أدلى به الرئيس المؤقت (ألبرت جوائزليس) ، حول إجراء محاكمة عاجلة ، تمهيدا لإعدام (أدم) ، وتوجيه تهمة الخيانة العظمى لرجل الأعمال العالمى (جون بدروس) .. وفى مرارة وعجز ، هتف (قدرى) :

- مستحيل !.. مستحيل أن يفعلوا هذا بصديقى (أدم) .

لم تفهم ممرضته الأمريكية حرفًا واحدًا مما نطق به بالعربية ، ولكنها استوعبت انفعاله ، فسألته مشفقة :

- هل تعرف هذا الرجل ؟

هتف (قدرى) بالإنجليزية :

- أعرفه ؟!.. هذا الرجل الذى تربته أمامك ، والذى يلفقون له هذه التهمة البشعة ، هو أفضل صديق عرفته ، فى عمرى كله .

رَبَّتْ عَلَى كَتِفِهِ ، مَغْمُغَةً فِى تَعَاطُفٍ :

- من العسير دائمًا أن يقبل المرء أخطاء من يحب .

صاح (قدرى) فى حنق :

- أية أخطاء ؟!.. أنت لا تعرفين (أدم) هذا .. إنه رجل بمعنى الكلمة .. رجل ينذر وجوده فى أى عصر وزمان .. إنه رجل من طراز خاص ، لا يمكنه أن يقتال أى مخلوق . قالت فى اهتمام :

- يقولون إنه رجل مخابرات مصرى .

كاد (قدرى) يهتف :

- بل هو أفضل رجل مخابرات فى العالم أجمع .

ولكن هدفه هذا لم يتجاوز أعماقه ، ولكنه تحول إلى انفعال جارف ، وهو يلوح بيده ، صائحًا :

- دعيهم يقولون ما يحلو لهم ، ولكنه ليس بقاتل .

ثم هب واقفًا ، وهو يستطرد فى حزم :

- لن أتركه فى هذا الموقف وحده .. سأذهب إلى

(پاراجواى) على الفور ، و ...

قاطعته الممرضة فى إشفاق :

- وما الذى يمكنك أن تفعله ؟

اخترقت العبارة مشاعره كرصاصة قاتلة ، وانفجرت فى قلبه كقنبلة حارقة ، تصاعدت نيرانها إلى رأسه ،

فاحتقن بها وجهه بشدة ، وخفض عينيه وهو يرفع كفه
اليمنى المصابة ، وتتم في أسى ومرارة لا حد لهما :

- نعم .. ما الذى يمكننى أن أفعله ؟

هتفت الممرضة فى حرج وارتباك :

- ليس هذا ما قصدته يا مستر (قدرى) ، وإنما كنت
أعنى أن مثل هذه الأمور شديدة التعقيد ، و ...

فأقلعها فى حزن :

- أعلم ما كنت تقصدينه .

ثم التفت نفسها عميقاً ، قبل أن يستطرد :

- أعلمه جيداً .

ازداد شعور الممرضة بالندم وتأنيب الضمير ،

وتتممت :

- مستر (قدرى) .. إلتنى ..

أشار إليها بيده ، طائباً منها الصمت ، ثم اتجه إلى باب
الحجرة ، مغمغفاً :

- اسمح لى .. أحتاج إلى بعض الهواء النقي .

لم تعترض طريقه وهو يغادر الحجرة ، ويقطع ممرات
المستشفى فى صمت حزين ..

كانت هناك غصة مؤلمة تعريد فى حلقه ، وتملاً نفسه
بمرارة وإحساس بالعجز تختنق بهما أنفاسه ، وفى عينيه

تجمعت دمة كبيرة ، جاهد ليحبسها بين أجفانه ، وهو
يتجه إلى قسم الرعاية الخاصة ، ولكنه لم يكذب يتوقف أمام
الواجهة الزجاجية لإحدى حجرات القسم ، ويلقى نظرة
على (منى) ، الفارقة فى غيبوبة عميقة ، وسط عشرات
من الأجهزة والآلات والخرائط الدقيقة ، حتى هزمت تلك
الدمة أجفانه ، ووثبت عبرها إلى خديه ، وهو يتمتم :

- (أدهم) يحتاج إلينا يا (منى) ، ونحن عاجزون
عن مساعدته ..

قالها وانهمرت الدموع من عينيه فى غزارة ..

وفى ألم ..

★ ★ ★

لا بد أن تفعل شيئاً .. .

نطق رئيس الوزراء هذه العبارة فى توتر شديد ، وهو
يجلس فى مكتبه ، فى مبنى رئاسة الوزراء ، ثم استطرد

مواجهاً مدير المخابرات العامة :

- الأمور تتطور بأسرع مما كنا نتوقع .. لقد أنقوا
القبض على (أدهم) هذا ، وسيجبرونه على توقيع

اعتراف زائف بأننا كنا وراء كل هذا .. هل تدرك ما يعنيه
مثل هذا الاعتراف ؟ .. سنفقد مصداقيتنا الدولية ، ويوضع

اسمنا فى قائمة الدول المؤيدة للإرهاب .

أجابه مدير المخابرات في حسم :

- لا أحد يمكنه إجبار (أدهم صبرى) على توقيع مثل هذا الاعتراف .

لوح رئيس الوزراء بيده ، قائلاً :

- إنك تضيف على (أدهم) هذا صفات أسطورية أكثر مما ينبغي .. إنه مجرد بشر ، لا يمكنه أن يحتمل وسائل التعذيب غير الآدمية ، التى يمكن أن يستخدمها رجل مثل (جوانزاليس) هذا .

قال مدير المخابرات فى ثقة :

- صدقتى يا سيدى .. لو تمزقت أطراف (أدهم) ، ووضعوه حياً فى أتون من اللهب ، لن يفعل شيئاً واحداً . يمكن أن يساء إلى (مصر) .

تطلع إليه رئيس الوزراء فى دهشة ، وهو يقول :

- من الواضح أنك تثق به تمام الثقة .

أجابه المدير فى حزم :

- ودون ذرة واحدة من الشك .

صمت رئيس الوزراء لحظات ، وهو يتطلع إلى مدير المخابرات ، ثم تراجع فى مقعده ، وقلب كفه ، قائلاً :

- ولكن الموقف الآن لم يعد يحتمل النقاش أو التأجيل .. لقد ألقوا القبض على (أدهم) بالفعل ، وهذا

وحده يمنحهم بعض المصداقية ، ثم إننا لم ندل ببيان رسمى بعد ، ولم نعلن موقفنا من هذه الاتهامات ، ولكن يطالبنا بتحديد موقفنا .

قال مدير المخابرات فى حزم :

- انف الأمر كله رسمياً يا سيدى .

تنهّد رئيس الوزراء ، وهو يقول :

- ولكن لديهم ملفاً كاملاً عن (أدهم) ، وجواز سفره يقول إنه مندوب لوزارة الخارجية المصرية .

هزّ مدير المخابرات كتفيه ، وهو يقول :

- من المستحيل عملياً إثبات انتماء أى شخص إلى أجهزة المخابرات ، إلا باعتراف شخصى منه ، وحتى هذا الاعتراف يمكن تفنيده عند الضرورة ، فالتعامل مع أجهزة المخابرات محاط دائماً بسرية شديدة ، ولو نفينا انتماء (أدهم) إلى مخابراتنا ، وواصلنا إصرارنا على أنه مندوب بالفعل لوزارة الخارجية المصرية ، لن يمكنهم إثبات العكس قط ، خاصة وأننا سنعد كل الأوراق التى تؤيد ما نقول .. أمهلنى بضع ساعات ، وستجد له ملفاً كاملاً فى وزارة الخارجية ، وسجل ترقيات وجزاءات أيضاً .

سأله رئيس الوزراء فى اهتمام :

- وماذا عن (أدهم) نفسه ؟.. هل سنتركه بين أيديهم ؟

أجابه مدير المخابرات :

- يمكننا أن نرسل فرقة انتحارية ، لمعاونته على الفرار من معتقله ، وتهريبه إلى (أمريكا) ، ولكن هذا الإجراء محفوف بمخاطر جمة ، وقد يؤدي في حالة فشل المهمة ، إلى تأكيد تورط (مصر) في حادث الاغتيال ، لذا فلنؤمّن أماننا سوى حل واحد .
مائه ولبين الوزراء :

- وما هو ؟

شرد مدير المخابرات ببصره وأفكاره لحظة ، ثم أجاب في حزم :

- ستراهن على قدرة (أدهم) وبراعته ، ومنمنحه الفرصة للخلاص من هذا المأزق بصفة شخصية ، ولتأكيد استحقاقه للقب الذي حصل عليه ..
وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف :

- لقب (رجل المستحيل) .

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (جوازليس) ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) الذي بدا هادئاً لا مبالياً ، داخل زنزانته الصغيرة ، وقال :

- ما الذي كنت تتوقعه يا سيور (أدهم) ؟ .. أن تهزم قدرات دولة بأكملها ، وتتجح في الفرار منها ؟



ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي (جوازليس) ، وهو يتطلّع

إلى (أدهم) الذي بدا هادئاً لا مبالياً ، داخل زنزانته ..

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

- الفرصة لم تضع بعد .

عقد (بوراندی) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

- هذا الرجل يحتاج إلى درس قاس .. دعنى أؤذبه

ياسيدى .. رجائنا يتلهفون على نزع أظفاره وحرق أظفاره .

ابتسم (جوانزاليس) ، وهو يقول :

- حاول أن تطرد من ذهنك هذه الأفكار البدائية يا رجل ،

فليس من المنطقى أن تقدمه للمحاكمة ، وتقلع رأى العام

العالمى باعترافه ، وهو محروق الأطراف أو منزوع

الأظفار .. هناك وسائل حديثة ، لا تترك آثارا واضحة .

قال (أدهم) ساخرا :

- بالتأكيد .. مثل رؤية هذا الديناصور .. صدقنى ..

هذا يعدبنى بشدة .

زمجر (بوراندی) ، واندفع نحو القضبان ، وكأنه

يرغب فى اقتحامها ، وهو يصيح فى غضب شديد :

- دعنى أمرك يا سيدى .. إنه يستحق هذا .

قهقه (جوانزاليس) ضاحكا ، وهو يقول :

- إنه يستفرك أيها الغبى .. لا تجعله يفعل بك هذا ، وإلا

استغل ثورتك لتحسين وضعه ، وربما للفرار من هنا .. (إنك

لم تقرأ عنه ربع ما قرأته أنا .. صدقنى .. إنه أستاذ فى مجاله .

قال (أدهم) فى استرخاء :

- أشكرك على هذا القول .

عقد (جوانزاليس) حاجبيه فجأة ، وهو يقول :

- أعترف أنك أستاذ فى مجالك ، ولكنك الآن فى

قبضتى ، وهذا يعنى أننى الرجل الذى هزم الأستاذ ..

أنا الأستاذ الحقيقى .

اعتدل (أدهم) ، وواجهت عيناه عيني (جوانزاليس)

مباشرة ، وسرى بينهما تيار عنيف من التحدى الصارم ،

قبل أن يعود (أدهم) إلى استرخائه ، وهو يقول :

- هل سمعت عن المثل القائل : ، من يضحك أخيرا

يضحك كثيرا ؟ !

أجاب (جوانزاليس) :

- بالطبع يا سنيور (أدهم) .. لقد سمعت هذا المثل ،

وأحفظه عن ظهر قلب ، وأؤمن به تماما ، وهأنذا ترى

نتائجه .. لقد نجحت فى الفرار من القصر ، واختفيت

تماما ، بعد أن أغرقت سيارتى المصفحة ، وأصبحت

الجميع بالدهشة لما فعلت ، ولكننى فهمت كل شيء ..

فهمت كيف أمكنت البقاء تحت الماء لفترة طويلة ، وكيف

هربت من طاقم الحراسة ، عندما كشفت اختفاء أسطوانة
الأكسجين الاحتياطية والقناع المضاد للغازات ، اللذين يتم
الاحتفاظ بهما بصفة دائمة في السيارة ، تحمياً
للطوارئ .. لقد أدركت على الفور أنك أوصلت الأسطوانة
بانقناع ، وسبحت بهما تحت الماء .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
- عظيم .. هذا يثبت أنك تمتلك القدرة على التفكير .
ولكن (جوائزليس) لم يبد غضباً ، وإنما أجاب في
هدوء :

- بل وأمتلك قدرات أخرى يا سنيور (أدهم) ، ساعدتني
على كشف وجودك مع ذلك الخائن (بدروس) .

أجابه (أدهم) في هدوء مماثل :
- (جون بدروس) ليس له أية صلة بما حدث .. لقد
أجبرته على التعاون معي ، و ...

قاطعه (جوائزليس) في صرامة :
- لا تحاول هذا ثانية يا سنيور (أدهم) .. إنك تهين

ذكائي يمثل هذا الادعاء .. صحيح أنني لم أكن أشك في
(بدروس) قط ، ولكن هذا لم يمنعني من وضع أحد رجالي
في قصره ، متكرراً في هيئة خادم بريطاني ، في محاولة
منى لكشف أسرار عمله وصفقاته ، والاستفادة مالياً من

هذا ، والواقع أن (بدروس) كان حريصاً للغاية ، حتى أنه
لم يكن يلتقي بأي من أفراد المقاومة في قصره ، أو حتى
يجري اتصالات هاتفية في هذا الشأن ، حتى أن عمل الرجل
اقتصر على التجسس الاقتصادي ، حتى ارتكب (جون
بدروس) أكبر خطأ في حياته ، عندما حملك إلى قصره ،
بعد أن اختطفك رجاله مع الرئيس .. لقد تعرفك عميلي على
الفور ، وأسرع ببلغنا بالأمر ، ثم دس جهازاً تصنت صغير
أسفل المائدة ، التي تناولتم حولها طعام الإفطار ،
وبوساطته تأكدت من كل شيء ، وعرفت الوجه الخفي
لرجل الأعمال الملياردير (جون بدروس) ، وأصدرت
أوامري بالهجوم عليكم واعتقالكم ، وهانذا ترى النتيجة .

قال (أدهم) في شيء من الصرامة :
- أهنتك يا (جوائزليس) .. لقد ربحت هذه الجولة .
رفع (جوائزليس) حاجبيه ، ثم ابتسم في سخرية ،
وقال :

- جولة ١؟ .. لا تحط من قدرى على هذا النحو يا سنيور
(أدهم) ..

إنني لم أربح جولة واحدة .. لقد ربحت المباراة كلها .
قال (أدهم) في صرامة حازمة :
- المباراة لم تنته بعد يا (جوائزليس) .

أطلق (جوانزاليس) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يقول :

- بل انتهت يا رجل المخابرات المصرية .. صحيح أنك رجل صلب عنيد ، كما يقول ملفك ، ولكنك و (بدروس) لن تحتملا البقاء على جهاز الصدمات الكهربائية لأكثر من ساعة واحدة ، وبعدها سنحصل على كل ما نريده منكما .. سيخبرني (بدروس) اللعين أين يخفى الرئيس ، وستدلى أنت بالاعتراف الذي نريده .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

- هل تعتمد على هذا ؟

أجاب في غضب :

- نعم .. أعتد عليه كثيرا يا سنيور (أدهم) ، فما من مخلوق أمكنه احتمال مرور خمسمائة فولت كهربى في جسده (*) ، وأكثر الرجال صلابة انهار بعد أقل من ساعة واحدة ، ووقع اعترافات تكفى لإعدامه .

ثم التفت إلى (بوراندى) ، وقال :

- خذهُ إلى غرفة الاعتراف .

(*) الفولت : هو وحدة قياس القوة الواقعة الكهربائية ، والفولت الدولي هو ثلثو فولت المقاومة ، التي تولد تيارا قدره (أمبير) واحد دولى ، إذا أثرت على موصل مقاومته (أوم) واحد دولى .

برقت عينا (بوراندى) فى وحشية ، وهو يقول :

- سيسعدنى هذا كثيرا يا سيدى .

وأشار إلى عشرة رجال مسلحين ، صوبوا فوهات مدافعهم الآلية نحو (أدهم) ، فى حين فتح (بوراندى) رتاج الزنزانة ، مستطرذا فى شماته :

- إننى أتوق لرؤيته يتألم .

ولكنه لم يكد يضع قدميه داخل الزنزانة ، حتى وثب (أدهم) من مكانه ، على الرغم من الفوهات القاتلة المصوبة إليه ، وهوى على أنفه بلكمة كالقنبلة ، قائلا :

- يؤسفنى أن أحرمك هذه المتعة أيها الوغد .

تراجع (بوراندى) مع الألم والمفاجأة ، وغامت الدنيا أمام عينيه ، وحاول أن يلوح بقبضته ، ولكن (أدهم) حطم أنفه بلكمة ثانية ، ثم أصاب عنقه بواحدة من ضربات (الكاراتيه) الفنية ، فترنح الحارس الضخم كبناء معرض ثلاثيهار ، وانطلق من حلقة خوار كالثور ، وتحفرت سبابتا المسلحين العشرة على أزدة مدافعهم ، ولكن (جوانزاليس) هتف بهم :

- لا .. لا تقتلوه .

وهنا هوى (أدهم) على فك (بوراندى) بلكمة أخيرة ، سقط لها فاقد الوعي ، وارتطم بالأرض فى عنف ، فاعتدل (أدهم) فى هدوء ، وقال :

- معثرة أيها الخريت الغبي .. لن ترى ما سيحدث .
ولم يكذبته عبارته ، حتى انقض عليه الرجال العشرة ،
فاستدار يواجههم في سرعة ، وحطم فك أولهم بكلمة
قوية ، ثم استدار يركل الثاني في معدته ، ولكن كعوب
مدافعهم الآلية هوت على رأسه في عنف ..
وسقط (أدهم) فاقد الوعي مرة أخرى ..
ولثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، قطعه
(جوانزاليس) ، وهو يقول في توتر شديد :
- احملوه إلى حجرة الاعتراف ، إلى جوار ذلك الخائن
(بدروس) ، وأبلغوا دكتور (فرناندل) أنني أريد
اعتراف الرجلين بأي ثمن .. هل تفهمون ؟ بأي ثمن ..
وبرقت عيناه في غضب ..
وفي وحشية ..

★ ★ ★

لم يغرق (أدهم) في غيبوبته طويلاً هذه المرة ..
لقد استعاد وعيه بسرعة ، وانتبه إلى أنه يرقد فوق
منضدة باردة ، مقيد المعصمين والقدمين ، وقد اتصلت بكل
من ذراعيه ثلاثة أسلاك رفيعة ، وإلى جواره يرقد (جون
بدروس) عارى الصدر ، فوق منضدة مماثلة ، وقد تم
تقييده على النحو نفسه ، واتصلت بذراعيه تلك الأسلاك

الرفيعة ، وأمامهما يقف رجل في أوائل الخمسينات من
عمره ، في معطف أبيض ، إلى جوار جهاز تحكم كهربى
بسيط ، وسمع صوت هذا الرجل ، وهو يسأل (بدروس) :
- أين أخفيت الرئيس ؟
كان صوت (بدروس) يوحى بالآلم والإرهاق
الشديدين ، وهو يجيبه :
- اذهب إلى الجحيم .. لن تحصل منى على حرف واحد .
- مط الرجل شفتيه في أسف ، واستدار يضغط زرّاً في
جهاز التحكم ، فصدرت فرقة خافتة ، أطلق بعدها
(بدروس) صرخة ألم هائلة ، وانقبضت عضلاته في
شدة ، فتقوّس ظهره على نحو يشع ، والتيار الكهربى
يسرى في جسده في عنف لثانية أو ثانيتين ، قبل أن يوقفه
الرجل ، ويقول :
- إنك تضطرنى لهذا يا سنيور (بدروس) .
تهاوى جسد (بدروس) على المنضدة ، وتصيب على
وجهه عرق غزير ، فقال (أدهم) في صرامة :
- هل يروق لك تعذيب الآخرين ؟
استدار الرجل يتطلع إليه في بظء ، وقال في هدوء :
- هل استعدت وعيك ؟ لا تتعجل الأحداث .. سيحين
دورك بعد قليل .

قال (أدهم) :

- إنك لم تجب سؤالى بعد .. هل تستمتع بتعذيب الآخرين ، أم أنها مجرد مهنة ؟

ابتسم الرجل فى سخرية ، وقال :

- وما الفارق ؟

أجاب (أدهم) :

- فارق ضخم ، فهذا الرجل هو أثرى أثرياء (باراجواى) ، وربما (أمريكا الجنوبية) كلها ، ويمكنه أن يمنحك مكافأة مجزية ، لو أنك ساعدتنا على الهرب من هنا .

مط الرجل شفتيه ، وبدت على وجهه ابتسامة غامضة ، فى حين سعل (بدروس) فى شدة ، قبل أن يقول :

- لا تحاول ياسنيور (أدهم) .. أنت لا تعرف الدكتور (فرناندل) كما أعرفه .. إنه لم يحصل على لقب (شيطان باراجواى) عبثاً ، فهو الرجل الذى قتل نصف الأسرى من رجال المقاومة ، من فرط التعذيب ، وأصاب النصف الآخر بعاهات مستديمة ، وجنون لاشفاء منه .. إنه مستعد لتمزيق أطرافنا ، وطهيها ، وتناول عشانه من حسانتها ، دون أن يظرف له جفن .

اتسعت ابتسامة (فرناندل) ، وهو يقول :

- يا للإطراء !.. كم يؤسقنى أن الجدران العازلة للصوت ستحبسه بيننا وحدنا .

ثم ضغط زر جهاز التحكم ، فأطلق (بدروس) صرخة ألم ثانية ، وثقوس ظهره على هذا النحو البشع ، فهتف (أدهم) .

- أنت أكثر من رأيت فى حياتى بشاعة أيها الحقير .

ابتسم الدكتور (فرناندل) فى تلمذ عجيب ، وهو يقول :

- عندما يحين نورك ستتوصل إلى أن أطلق سراحك ، وعندئذ سأجعلك تعلق حذالى ، ثمنا لقولك هذا .

انهار جسد (بدروس) ثانية ، وغرق فى بركة من انعرق والألم ، وعاد (فرناندل) يسأله فى هدوء :

- أين أخفيت الرئيس ؟

ثم يقو (بدروس) على النطق بحرف واحد ، فى حين قال (أدهم) فى صراحة :

- لن تعرف هذا قط .

استدار إليه (فرناندل) ، وبرقت عيناه وهو يقول :

- آه .. أهذا القول يعنى أنك تعلم أين الرئيس ؟

ثم نقل سبائته إلى زر آخر ، واستطرد :

- ما رأيك فى جرعة صغيرة من الكهرياء ، لتنشيط ذاكرتك ، وحل عقدة لسناك ؟

وضغط الزر في قوة، فانتفض جسد (أدهم)،
وانقبضت عضلاته كلها بالأم رهيبه، إلا أنه أطبق شفثيه
في قوة، ولم يطلق صيحة واحدة، واحتمل تلك الآلام
المبرحة، حتى أوقف (فرناندل) التيار، فتهاول جسده في
تهالك، وبرقت عينا الرجل ثانية، وهو يقول:
- رائع .. قدرة مذهشة على تحمل الألم .. ربما ينبغي
أن نزيد القوة إلى ستمائة قوت.

ارتفع صوت خشن غليظ، يقول في غضب واضح:
- اجعلها ألف قوت.

وانعقد حاجبا (أدهم) في توتر، عندما برز (بوراندى)
بأنفه المحطم، الذي تحيط به الضمادات، والكدمات التي
تملأ وجهه، والتفت إليه الطيب، قائلاً:
- ألف قوت؟!.. ألا تعتقد أنها أكبر مما ينبغي
يا (بوراندى)؟

نطقها في سخرية واضحة، فرمق (بوراندى) (أدهم)
بنظرة تقيض مقًا وكراهية، وهو يقول:
- إنها مجرد بداية.

أدار (فرناندل) مؤشر القوة في هدوء، وهو يتسم
قائلاً:

- معنرة أيها المصري .. لا يمكنني أن أغضب صديقي
(بوراندى).

أجابه (أدهم) في برود:
- اذهب إلى الجحيم.

وهنا هتف (بوراندى):

- بل أنت الذي سيذهب إليه أيها المصري.
وضغط الزر بكل قوته، واندفع ألف قوت إلى جسد

(أدهم) ..

وكانت الآلام في هذه المرة، رهيبه ..
رهيبه بحق.

★ ★ ★



٩ - هذا الرجل ..

سرى التيار الكهربى العنيف فى جسد (أدهم) لثانية واحدة ، تفجرت خلائها أبشع وأقسى الآلام فى رأس بطننا ، الذى كتم صرخته بإرادة فولاذية ، وإن لم يمكنه منع ذلك الانقباض الرهيب ، فى كل عضلة فى جسده ، وتقوس الظهر المولم ، مع ارتفاع مخيف فى نبضات القلب .. ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، انتهى عقل (أدهم) إلى أن القيود الجلدية ، التى تشد معصميه إلى المنضدة ، قد تمرقت بعض الشيء ، مع انقباض العضلات الشديد ، وبالأذات قيود يده اليسرى ..

وعندما أوقف (بوراندى) التيار ، كان عقل (أدهم) قد درس هذه النقطة ، وبدأ يعد خطته ، واستعد لوضعها موضع التنفيذ ..

وفى شماعة وشراسة ، قال (بوراندى) :

- هل أعجبتك هذه الرعدة الأنيقة أيها المصرى ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، على الرغم من العرق الغزير ، الذى يغمر وجهه ، وقال :

- إنها تساعد على تنشيط العضلات ، ولا يفسدها سوى وجهك البغيض .

احتقن وجه (بوراندى) ، وهتف فى حقن :

- أنت تستحق جرعة أخرى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة مستفزة ، وقال بسرعة ، قبل أن يضغط (بوراندى) الزر ثانية :

- يا لك من مقاتل صنيذ !! أهذا هو المجال ، الذى تبرع فيه دائماً .. أن تضغط الأزرار من بعيد لتؤذى خصمك ؟! أراهنك على أنك لا تجرؤ على الاقتراب منى .. حتى وأنا مقيد هكذا .

صاح (بوراندى) ، وهو يندفع نحوه :

- أنا ماذا ؟! سأقطع لسانك هذا ، انذى بجهل كيف يتعامل مع المنتصرين فى احترام .

تشبث به الدكتور (فرناندل) ، وهو يقول :

- رويدك يا رجل .. ألم تنتبه إلى أنه يحاول

استفزازك ؟

صاح (بوراندى) ، وهو يتملص منه فى غضب :

- دعه يواصل سخافاتهِ ، حتى لا أشعر بالأسف ، وأنا

أحطم أنفه .

واندفع مرة أخرى نحو (أدهم)، ورفع قبضته ليضربه، هاتفاً :

- خذها أيها المصري، فأنت تستحقها .

ولكن (أدهم) كان قد استنفر قواه كلها، في نفس اللحظة التي اندفع فيها (بوراندى) نحوه، وجذب قيود معصمه الأيسر، و...

وفي اللحظة العناسية، وقبل أن يهوى (بوراندى) قبضته على وجهه، تمزقت القيود، وانطلقت قبضة (أدهم) كالقنبلة، لتنفجر في أنف (بوراندى) المحطم..

وصرخ الضخم في ألم شديد، وتراجع وهو يمسك أنفه، الذي تفجرت منه اندماء في غزارة، في حين قفز الدكتور (فرناندل) إلى الخلف، وهتف في ارتياح :

- يا للشيطان !! كيف فعل هذا ؟

ووثب نحو جهاز التحكم الكهربى، ليطلق التيار مرة أخرى في جسد (أدهم)، (لا أن هذا الأخير انتزع الأسلاك المثبتة في ذراعه اليمنى بحركة سريعة، وهو يقول في حزم :

- ضاعت الفرصة أيها الوغد .. خسرت دورك .

ثم انتزع قيود معصمه الأيمن، مستطرداً :

- وحق دورى أنا .

اندفع (بوراندى) نحوه مرة أخرى، وهو يصرخ :

- لن تخرج من هنا حياً .. لن تفعل .

استقبله (أدهم) بلكمة أخرى على أنفه، ثم أمسك كتفيه، وأداره في حركة قنية سريعة، فوجد الضخم جسده يهوى أرضاً، ويتدحرج، ثم يرتطم بالجدار ..

وفي مرونة مذهشة، وخفة تستحق الإعجاب، ثنى (أدهم) جسده إلى الأمام، وحل قيود قدميه بحركة سريعة، في نفس اللحظة التي اندفع فيها (فرناندل) نحو باب الحجرة، صاخاً :

- انجدة يا رجال الأمن .. النجدة .

وتكن (أدهم) وثب وثبة رائعة، جعلته يتجاوز ذلك الشيطان، ويعترض طريقه إلى الباب، وهو يقول ساخراً :

- هل نسيت أيها الوغد ؟.. الجدران عازلة للصوت .

ثم أمسك أنف الطبيب، وجذبه منه في عنف، قبل أن يهوى على فكه بلكمة كالقنبلة، سقط لها كالحجر، دون أن ينبس ببنت شفة، في حين اندفع (بوراندى) نحوه أن ينسب بينت شقة، في حين اندفع (بوراندى) نحوه (أدهم) مرة أخرى، هاتفاً :

- لن تنجح .. لن تنجح .

مال (أدهم) جانبًا في مرونة ، متفاديا لكمة عنيفة ،
أودعها (بوراندى) كل قوته ، ثم اعتدل على رشاقة ،
ولكمه فى أنفه بقبضته اليسرى ، ثم غاص فى معدته
باليمنى ، وضَمَ قبضتيه معا ، وهو يقول :
- أعتقد أن أنفك لم يعد له وجود .

وهوى بقبضتيه المضمومتين على مؤخرة عنق
الحارس الضخم ، مستطرذا فى حزم :
- ووعيك أيضا .

سقط الرجل على وجهه ، وفقد وعيه تماما ، فتجاهله
(أدهم) ، وهو يسرع لحل قيود (بدروس) ، الذى هتف
بأنفاس مبهورة :

- أنت رائع .. من المستحيل أن أضدق ما فعلته ، ما لم
أره بنفسى .

انتهى (أدهم) من حل قيوده ، وساعده على
التهوض ، وهو يقول :

- كل ما حدث لم يتجاوز هذه الحجرة ، وما زلنا داخل
مبنى مخبرات (باراجواى) ، وليس من السهل أن
نغادره .

قال (بدروس) فى حماس :
- أنا أعرف سبيل الخروج من هنا .. لقد رشوت أحد

العاملين هنا يوما ، وحصلت منه على خريطة كاملة مفصلة
للمبنى ، حفظتها عن ظهر قلب ..
أوما (أدهم) برأسه ، وقال :
- سيقيدنا هذا كثيرا ، ولكن لن يكفى للخروج من هنا .
ثم ألقى نظرة على الطبيب الفاقد اتوعى ، قبل أن
يضيف :

- إلا إذا ..
ولم يكمل حديثه ، فلم يكن يميل ، فى مثل هذه المواقف
إلى القول ..
يل إلى العمل ..
العمل الجاد ..

★ ★ ★

عقد (جوانزاليس) كفيه خلف ظهره ، وهو يطالع
خريطة كبيرة للعاصمة (أسوسيون) ، ثم التفت إلى طاقم
مستشاريه ، وهو يقول :
- الرئيس لم يغادر العاصمة .. هذا ما نثق به تماما ،
فقور اختطافه بواسطة الهليوكوبتر ، قمنا بتأمين حدود
العاصمة ، واستخدمنا وسائل الرصد والدفاع الجوى ،
وأغلقنا كل المنافذ ، وتأكدنا من أن الهليوكوبتر وأصحابها
لم يغادروا (أسوسيون) قط ، وهذا يضعنا أمام خطة
محدودة لتمشيط العاصمة ، والبحث عن الرئيس .

قال أحد مستشاريه فى اهتمام :

- لو أن سنيور (بدروس) مشترك بالفعل فى هذا العمل ، فأعتقد أنه أخفى الرئيس فى واحدة من مزارعه ، أو فى ضيعته الخاصة .

رمقه (جوائز اليس) بنظرة صارمة ، وهو يقول :
- ماذا تعنى بـ (لو أن) هذه ؟

ارتبك الرجل ، وهو يتمتم :

- احم .. أعنى أنه مشترك فى هذا العمل قطعاً .

رمقه (جوائز اليس) بنظرة نارية ، قبل أن يجيب :

- نظريتك بسيطة تقليدية ، وهى أول ما جال

بخطري ، فأمرت فريقاً من رجالنا بتفتيش كل مكان يمتلكه

(جون بدروس) .. قصره ، ومنزله الصيفى ، وضيعته ،

ومزارعه ، ومكتبه ، وحتى شركة المقاولات بكل

فروعها ، ولكن كل هذا لم يسفر عن شيء ، ولم نعثر على

أدنى أثر يمكن أن يرشدنا إلى الرئيس .

وتنهَّد فى توتر ، قبل أن يستطرد :

- من الواضح أن (بدروس) شخص ذكى وحريص

لئلا يفضيحه ، كما أنه قوى العزيمة أيضاً ، فالدكتور (فرناندل)

يستجوبه منذ ساعة كاملة ، ولم ينجح فى استنطاقه بعد .

حبس الجميع شهاداتهم ، عندما أتى (جوائز اليس)
على ذكر (فرناندل) ، وأظلت من عيونهم نظرة مثقفة
على (بدروس) ، ولكن من حسن حظهم أن رئيسهم لم
ينتبه إلى هذا ، وهو يواصل :

- أنا أعرف (جون بدروس) منذ حدثنا ، وأعلم أن
عذاب الدنيا كله لن يجبره على قول شيء يرفضه .

وصمت لحظات ، ثم أضاف فى حزم :

- وهذا لا يعنى أنه رجل كامل ، بلا نقطة ضعف ،

فالواقع أن لصديقنا (بدروس) نقطة ضعف شديدة ،

وهى ...

هتف أحد الرجال :

- ابنته (جوانيتا) .

بدت ابتسامة (جوائز اليس) أشبه بتكشيرة نذب

مفترس ، وهو يقول فى بطء :

- بالضبط .. نقطة الضعف الوحيدة ، التى يمكن أن

تجبر (جون بدروس) على الإدلاء بمكان الرئيس ، هى أن

تقع ابنته (جوانيتا) فى قبضتنا .. وهذا ما سنسعى إليه .

وأشار بيده ، مستطرداً :

- سنشكّل فريقاً للبحث ، ونستعين بأحدث ما لدينا من

أجهزة البحث والتقصى ، حتى نعثر على الفتاة ، وعندئذ

لن تكون هناك أية عقبات ، لحل عقدة لسان (جون بدروس) .

قالها دون أن يدرى أن (جوائيتا) لم تكن بعيدة عنه ..
لقد كانت قريبة من مبنى المخابرات فى (باراجواى) ..
قريبة للغاية ..

★ ★ ★

أشعل أحد الحراس الخمسة ، المرابضين أمام حجرة الاعتراف ، سيجارته ، ونفث دخانها فى قوة ، قبل أن يلوح بمدفعه الآلى ، قائلاً :

- كم أكره تلك الأيام ، التى يستجوبون فيها أحد المشتبه فيهم .. صحيح أن الجدران العازلة للصوت تحجب عنا الصراخ والضجيج ، ولكننا نضطر ، فى معظم الأحيان ، إلى نقل جثث الموتى بأنفسنا .
قال زميله :

- هذا صحيح .. ثم إننى أبغض التعامل مع ذلك الطبيب (فرناندل) ..

إنه رجل سادى بغيض ، يستمتع بتعذيب البشر وقتلهم .
هز الثالث كتفيه ، وقال :

- هل نسيت أنهم يطلقون عليه اسم (شيطان باراجواى) ؟

ضحك الرابع ، وهو يقول :

- وهو يستحقه عن جدارة .

فتح الخامس شفتيه لينطق عبارة ما ، لولا أن انفتح باب الحجرة فجأة ، وانبعث من داخله صوت يصرخ :

- النجدة .. لقد انفجر الجهاز .. النيران تنتشر فى كل مكان .

ومع الصوت ، تصاعد الدخان فى كثافة من الحجرة ، واندفع عبره رجل يرتدى معطف الطبيب الأبيض ، وآخر فى حلة (بوراندى) ، فاندفع الحراس الخمسة إلى الحجرة ، وهتف أحدهم :

- أحضروا أسطوانات الإطفاء .. بسرعة .

قفز الحراس الخمسة داخل الحجرة ، واتجهوا بأسطوانات الإطفاء نحو الركن ، الذى تشتعل فيه النيران ، بعد أن أسندوا مدافعهم الآلية إلى الجدران ، وأطلقوا المسحوق المضاد للنيران نحو الحريق ، حتى نجحوا فى السيطرة عليه ، وهتف أحدهم فى توتر ، وهو يمسح عرقه الغزير :

- كيف حدث هذا ؟ .. إنها أوّل مرة تشتعل فيها النيران هنا .

أداروا بصرهم في المكان، حيث رقد جسدان عازيا
انصدرا فوق المنضبتين المتجاورتين، ثم هتف أحدهم في
ذهول:

- يا للشيطان!!.. هذا الراقد هو الدكتور (فرناندل)
نفسه.

انتبهوا جميعا إلى الأمر بغتة، وصاح آخر في حق:
- والثاني هو (بوراندی) .. لقد خدعونا يا رجال.
حاولوا الخروج لمواجهة خصمهم، الذي فعل بهم
هذا، ولكنهم فوجئوا بأن الباب مغلق، وأن أسلحتهم قد
اختفت، فهتف ثالث في سخط:
- لقد فعلها بنا.

وبدت الصورة واضحة أمامهم، في هذه اللحظة،
وأدركوا أن (أدهم) قد استخدم جهاز التحكم الكهربى،
في إحداث شرارة أشعلت ثيابه وثياب (بدروس)، ثم
استغل ثياب (بوراندی) والطبيب لخداعهم، والفرار من
حجرة الاعتراف أمام عيونهم ..

أما (أدهم)، فقد أغلق الحجرة على الحراس
الخمس، وحمل مدفعين آليين، وتناول الثالث
(بدروس)، الذي أشار إلى ممر أمامه، وهو يقول في
حماس:

- هذا الممر يقودنا إلى سلم القبو، ولو أمكننا عبور
المنخل إلى الطابق الأرضى، ستكون فرصتنا في الفرار
كبيرة.

أجاب (أدهم)، وهو يتقدم معه عبر الممر:
- الفرار من مبنى أحد أجهزة المخابرات أمر شبه
مستحيل، ولكننا ..

قبل أن يتم عبارته، انطلقت فجأة صفارات الإنذار في
المبنى كله، فهتف (بدروس):
- رباه!!.. كيف نسيب هذا .. هناك جهاز إنذار في
حجرة الاعتراف، كان ينبغي أن نفسده، قبل أن نسجن
الحراس داخلها.

ابتسم (أدهم) في شيء من الضيق، وهو يقول:
- طريف منك أن تبغنى هذا الآن.
ثم انطلق نحو باب القبو، مستطردا:
- فهذا لا يضع أمامنا سوى حل واحد.
ويلا ترد، أطلق نيران مدفعه الألى على رتاج القبو،
ثم ضرب أبواب بقمه فانفتح على مصراعيه، ومن خلفه
ظهر رجال مخابرات (باراجواى)، وهم يندفعون نحو
القبو ..

وضغط (أدهم) و (بدروس) زنادى مدفعيهما ..
وانفتحت أبواب التجحيم ..

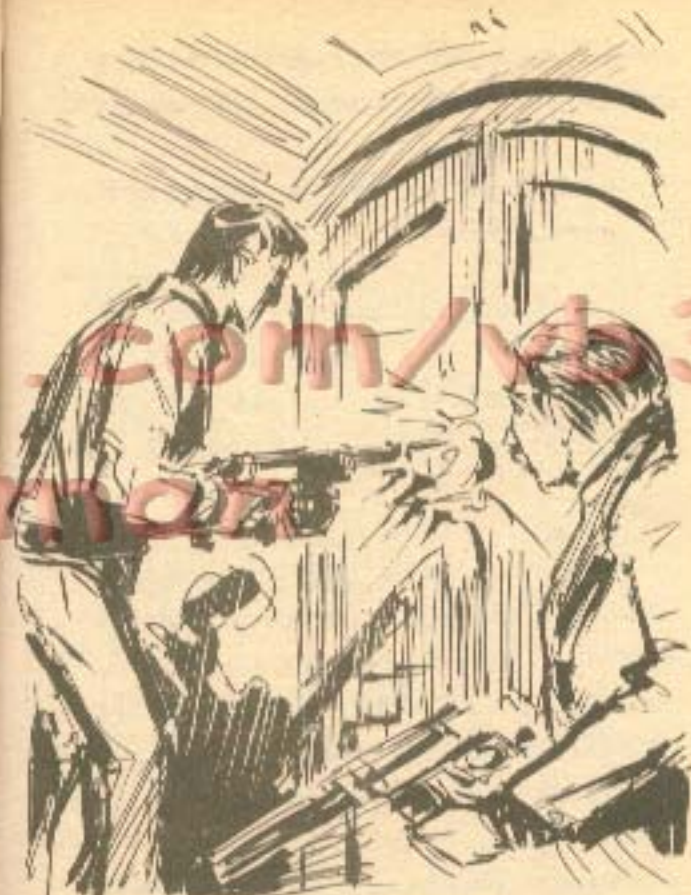
وفي حجرته ، انتفض (جوائزيس) ، عندما بلغ دوى
الرصاصات أذنيه ، وصاح في توتر شديد :
- ماذا حدث ؟ .. من يطلق النار هنا ؟
ثم يكد ينطلقها ، حتى اقتحم أحد الرجال الحجرة ، وهو
يهتف :

- سيدي .. رجل المخابرات المصرية وسنيور
(بدروس) نجح في الفرار ، من حجرة الاعتراف ،
ويتبادلان إطلاق النار مع رجلنا ، في الطابق الأرضي .
اتسعت عيننا (جوائزيس) في ارتياح ، وصاح في
رجائه :

- ماذا تنتظرون .. امنعوا المصري من مغادرة المبنى
بأي ثمن .
ودق سطح المنضدة بقبضته ، مستطردا :

- أي ثمن ؟
هب الرجال لتنفيذ الأمر ، ولكن أحدهم سأل في حذر :
- هل نحرص على حياة المصري و (بدروس) ؟
انعقد حاجبا (جوائزيس) لحظة ، ثم أجاب في
صرامة :

- كلا .. لا تبقوا على أحد .. انسفوا الجميع .



وبلا تردد ، أطلق نيران مدفعه الآلي على رتاج النقب ، ثم غروب
الباب بقدمه فالتفت على مصراعيه ..

وفى الدور الأرضى ، راح (أدهم) و (بدروس)
بطلقان النار فى شجاعة واستماتة ، حتى أن أحدا من رجال
مخابرات (باراجواى) لم يستطع مواجهتهما ، وإن
أحاطوا بالمكان إحاطة السوار بالمعصم ، لمنعهما من
مغادرته ، فقال (بدروس) فى عصبية :
- لن نفلح فى هذا قط .. إننا نحتاج إلى معجزة .
أجابه (أدهم) ، وهو يطلق النار :
- دعنا نأمل حدوثها إذن .
لم يكد ينهى عبارته ، حتى ألقى أحد الرجال نحوهما
قنبلة يدوية ، فصرخ (بدروس) :
- احترس .

ألقى (أدهم) أحد مدفعيه جانباً ، ووثب وثبة مذهشة ،
التقط بها القنبلة فى الهواء ، وأعادها إلى مرسلها بحركة
سريعة ، وهو يهتف :
- ترد إلى الراسل .

اتسعت عيون رجال المخابرات فى ارتياح ، وتفرقوا
يعدون فى كل مكان ، فى حين دفع (أدهم) (بدروس)
جانباً ، وهو يقول :
- تراجع يا رجل .

ومع آخر حروف كلماته دوى الانفجار ، فى قلب مبنى

المخابرات ، ووصل دويه إلى مسامع (جوانزاليس) ،
الذى صاح فى غضب :

- كيف يحدث هذا هنا ؟ .. إنك تحطمون سمعة جهاز
مخابراتنا كله .. لقد أمرتكم بنسف الجميع بلا تردد .. هل
تفهمون ؟ .. انسقوا الجميع بلا رحمة .

تلقى الرجال الأمر ، ووضعوه موضع التنفيذ على
الفور ، ولاحظ (أدهم) أنهم توقفوا عن إطلاق النار ،
فغمغم فى قلق :

- ماذا حدث ؟ .. يلوح لى أنهم يستعدون لتوجيه ضربة
جديدة .

أجابه (بدروس) فى توتر شديد ، وهو يختلس النظر
إلى الخارج :
- كل ما أخشاه أن ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يطلق شهقة قوية ، فأسرع
(أدهم) يلقي نظرة بدوره ، وهو يقول :
- ماذا رأيت ؟

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، عندما وقع بصره على
رجلين ، يحمل كل منهما على كتفه مدفعا من طراز

(آر. بي. جي) ، ويصوبان فوهته إلى حيث يختبئ
مع (بدروس) ، الذي صاح :

- إنهم يرغبون في نفسنا .. يا لك ...
وقبل أن يتم عبارته ، كانت قنبلة تنطلق ، و ...
ودوى انفجار هائل .

★ ★ ★



١٠ - المعركة ..

انتفض جسد (بدروس) في عنف ، مع دوى الانفجار ،
وخيل إليه للوهلة الأولى ، أن القنبلة قد اخترقت أحشاءه ،
وانفجرت في قلبه مباشرة ، إلا أنه لم يلبث أن انتبه إلى
أنه على قيد الحياة ، وأن القنبلة التي انفجرت أصابت جدار
مبنى المخبرات ، وهدمت منه ذلك الجزء ، المجاور
للرجلين ، اللذين استعدا لإطلاق مدفعي
الـ (آر. بي. جي) نحوه ، وسحقتهما سحقاً ، فهتف في
ذهول :

- المعجزة حدثت .

قفز (أدهم) يلتقط أحد المدفعين ، وهو يقول :

- دعنا لا نضع أثرها إن .

ومع قوله دوت انفجارات أخرى ، في أنحاء متفرقة من
المبنى ، وتعالى صوت تبادل إطلاق نيران في الخارج ،
فتهللت أسارير (بدروس) ، وقال في ارتياح :

- إنهم رجالى .. لقد هبوا لنجستى .

كان القتال عنيفاً بالفعل ، بين رجال المخبرات ، وفرق

المقاومة ، التي نجحت في تدمير جزء من سور المبنى ،
عبرته كتابهم في بسالة واستماتة ..

وقبل أن يندفع (أدهم) و (بدروس) للاشتراك في
القتال ، فوجئ الاثنان بـ (جوائيتا) تندفع عبر الجزء
المهدوم من الحائط ، وهي تحمل مدفعا آليا صغيرا ، ولم
تكد ترى أباهما ، حتى اندفعت نحوه هاتفة في انفعال :
- أبى .. حمدا لله .. حمدا لله .

وقفزت تتعلق بعنقه ، وهي تبكى في حرارة ، فضمها
إليه ، وهو يسألها في دهشة :

- (جوائيتا) .. أنت فعلت هذا ؟

أجابته ودموعها تجري على وجنتيها :
- كان من الضروري أن أفعل .. لا يمكنني أن أتركك
وحدا هنا .. أنا أعظم ما يمكن أن يفعله بك ذلك الوحش
(جوائز ليس) .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
- أهنئك على ابنتك يا سنيور (بدروس) .. لقد أحسنت
تنشئتها .

تخضب وجه (جوائيتا) بحمرة الخجل ، وتعمت :
- آه .. أشكر كثيرا يا سنيور (أدهم) .
ثم جذبت والدها من يده ، هاتفة :

- هيا .. أسرع يا أبى .. لا بد أن نخرجك مع سنيور
(أدهم) من هنا .

ومع آخر حروف كلماتها ، ارتفع أريز هليوكوبتر
تقرب ، واندفع أربعة من رجال المقاومة عبر فجوة
الحائط ، وأحدهم يقول :

- أسرع يا سيدى .. لقد وصلت الهليوكوبتر .

قال (بدروس) في صرامة :

- لن أفر من هنا ، وأترككم تواجهون النيران وحكم .
أجابه الرجل بسرعة :

- لا تقلق بشأننا يا سيدى .. سنحصى فراركم من هنا ،

ثم ننسحب مباشرة .. لقد وضعنا خططنا اعتمادا على هذا .

وهتفت (جوائيتا) متوسلة :

- أسرع يا أبى .. أرجوك .

وهنا جذب (أدهم) (بدروس) من يده ، وهو يقول :

- هيا يا سنيور (بدروس) .. إنهم على حق في هذا

الشان .

هبطت الهليوكوبتر في هذه اللحظة ، داخل أسوار مبنى

المخابرات ، وصرخ (جوائز ليس) في غضب :

- لا تسمحوا لهم بالفرار هذه المرة .. أطلقوا النار على
الهليوكوبتر ، واطلبوا طائرتين لمهاجمتها .. أسرعوا .

حاول رجال مخابرات (باراجواى) تنفيذ الأمر ، ولكن رجال المقاومة كانوا يصنعون بمدافعهم ساترًا من النيران ، لحماية الهليوكوبتر ، التى اندفع إليها (أدهم) و (بدروس) و (جوانيتا) ، وما إن استقروا داخلها ، حتى ارتفعت على الفور ، وانطلقت مبتعدة عن المبنى ، و (جوانزاليس) يصرخ :
- استدعوا طائراتنا .. أسرعوا .

أما رجال المقاومة ، فما إن شاهدوا الهليوكوبتر تتجاوز أسوار مبنى المخابرات ، حتى بدأوا انسحابهم المنظم ، فغمغم (بدروس) :
- رجالى يتصرفون بجنون هذه المرة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
- لو أننى أملك رجالًا بهذه الكفاءة وهذا الجنون ، لاستوليت على العالم كله .
يدا الفخر فى عيني (بدروس) وصوته ، وهو يقول :
- سأفكر فى هذا الأمر .

ثم سأل فى فضول :
- ولكن أخبرنى يا سنيور (أدهم) .. هل كانت خطتهم جيدة ، بالنسبة لاقتحام مبنى المخابرات ؟
هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

- لقد فعلوا هذا بطريقة فريدة ، تستحق أن أشير إليها فى تقريرى ، عندما أعود إلى (القاهرة) .
قالت (جوانيتا) فى حماس :
- لا تنس أن تشير إلى أننى صاحبة الخطه .
ضمها (بدروس) إليه ، وهو يداعبها قائلاً :
- وهذا يملأ نفسى بالفخر .
هتفت فى سعادة طفولية :
- حقًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يتطلع إليها ، وقفزت أفكاره فجأة إلى حيث ترقد (منى) ، فاقدة الوعي ، صامتة ، تصارع الموت فى كل لحظة ..
واعتصر الحزن قلبه فى مرارة ..

وسبحت ذكرياته فى بحر حزنه ، وراح يسترجع مغامراتهما معًا ، ولحظات حبهما ، وحتى تلك اللحظات ، التى واجها فيها الموت معًا ..
كم كانت رقيقة جميلة ..
وكم أحبها ..

إنه لم يحب فى حياته كلها سواها ، ولم يخفق قلبه إلا من أجلها ..

انتبه (أدهم) فجأة إلى أنه ما زال يحمل المدفع ، الذي
اختطفه من رجل مخابرات (باراجواي) التصريح ، فقال في
حزم :

- لدينا سلاح واحد على الأقل .

ثم وضع المدفع على كتفه ، وهو يستطرد :

- اهبط مع ابنك إلى قاع الهليكوبتر يا سنيور

(بدروس) ، فلا يمكنني ضمان رد ذلك المدفع .. وأنت

أيها الطيار ، حول أن تدور إلى اليسار فجأة ، ودون سابق

إنذار .. هل يمكنك هذا ؟

أجابه الطيار :

- نعم .. متى ترغب في هذا ؟

أجابه في حزم :

- الآن .

جذب الطيار عصا القيادة إلى اليسار في حزم ، فمالت

الهليكوبتر بحركة حادة مباغتة ، جعلتها تتفادى سبل

الرصاصات ، التي أطلقتها نحوها طائرتا الهليكوبتر

انحريبتان ، في حين دفع (أدهم) الباب المجاور له ،

وصوب المدفع إلى إحدى الطائرتين ، وضغط الزناد ..

ودوى الانفجار في سماء (أسوسيون) ، وهتفت

(جوانيتا) :

- لقد أصبته .

صحيح أنه شعر أحياناً بالميل لأخريات ، قيل أن يلتقي
بها ، ولكنه عندما عرفها ، أدرك أنه عثر أخيراً على فتاة
أحلامه ، التي امتلكت قلبه وكيانه ، و ...

قاطعه فجأة دوى رصاصات ، وصوت ارتطام بعضها
بجسم الهليكوبتر ، وصرخة الرعب التي أطلقتها
(جوانيتا) ، فاعتدل بسرعة ، وهو يهتف بالطيار :

- اهبط بسرعة ، وطر على ارتفاع منخفض .

أطاعه الطيار دون مناقشة ، وهو يقول في توتر شديد :

- (إنهما طائرتا هليكوبتر حربيتان .. لن يمكننا الفرار

منهما قط .

دوت الرصاصات مرة أخرى ، ولكنها أخطأت

الهليكوبتر ، و (أدهم) يسأل الطيار :

- ما قوة تسليحتك بالضبط ؟

أتاه الجواب على لسان (بدروس) ، الذي ضمّ ابنته

إليه في توتر ، وهو يقول بعصبية :

- هذه ليست هليكوبتر حربية .

هتف (أدهم) :

- أتعني أننا لا نملك أية أسلحة ؟؟

قال الطيار في توتر ملحوظ :

- هذا صحيح .

أجابها (أدهم) :

- هذا صحيح ، ولكننا لم نكن نمتلك سوى هذه القذيفة للأسف .

ابتعد طيار الهليكوبتر الحربية الأخرى في حركة غريزية مذعورة ، عندما رأى ما أصاب زميله ، إلا أنه لم يلبث أن انقض على الهليكوبتر الصغيرة في غضب ، وهو يصرخ :

- اللعنة !.. لقد نسفتم (ماركو) .

وضغط زر (إطلاق) نيران طائرته ، فانهالت الرصاصات على الهليكوبتر الصغيرة كالأمطار ، وأصابته ذيلها وجزءاً من مروحتها العلوية ، فصرخ قائدها :

- لقد أصابنا .. سنسقط حتماً .

كان قد فقد السيطرة على الهليكوبتر تماماً ، فراحت تدور حول نفسها على نحو مخيف ، وهو تهوى بسرعة ، وصرخت (جوائيتا) :

- إنها النهاية يا أبى .. سنلقى مصرعنا جميعاً .

ضمها والدها إليه في قوة ، وكأنه يحاول حمايتها من ذلك المصير البشع ، ولكن (أدهم) تحرك في سرعة ، وانتزع الطيار من مكانه ، وهو يقول في لهجة حازمة صارمة :

- لم يتم حسم هذا الأمر بعد .

اتسعت عينا الطيار في دهشة ، عندما قفز (أدهم) بحثاً مقعده ، وصاح في دعر :

- هل تفهم شيئاً عن قيادة الهليكوبتر ، أم أنك ... ؟
بتر عبارته بغتة ، وقد استحال دعره ودهشته إلى ذهول وانبهار ، عندما رأى (أدهم) يتعامل مع آلات القيادة في سرعة وحزم ، ويستعيد السيطرة على الهليكوبتر إلى حد كبير ، وقال (بدروس) :

- ربّاه !.. إنك تقود هذه الطائرة في براعة مذهلة .

ثم يحاول (أدهم) التعليق على هذا القول ، وهو يهبط بالهليكوبتر ، محاولاً تفادي نيران الطائرة الحربية التي تطارده ، ثم قال :

- تشبثوا وارتبطوا أحزمة مقاعدكم جيداً ، سنهبط في منطقة الأعراس .

ثم هبط بالهليكوبتر في حركة مباغتة ، وهي تدور حول نفسها ، وتفادى دفعة أخرى من رصاصات الهليكوبتر الحربية ، ثم هتف :

- سنهبط الآن .. تشبثوا جيداً .

وترك الهليكوبتر تخترق منطقة أشجار كثيفة ، وسمع الجميع صوت مروحتها ، وهي ترتطم بالأشجار ، وتتحطم على نحو مخيف ، ولكن الأشجار نفسها أحاطت

باليوكوبتر ، ومنعتها من السقوط في عنف ، فانزلت
بينها في صوت مخيف ، وهى تحتك بالأغصان والأفرع ،
و ...

وارتطمت بالأرض ..

كان الارتطام عنيفاً إلى حد ما ، ولكنه لم يكن قاتلاً ،
وعنى الرغم من هذا ، فقد أطلقت (جوانيتا) صرخة
قوية ، وشهق الطيار ، وصاح ذاهلاً :
- لم أر فى حياتى كلها هبوطاً كهذا .

أما (بدروس) ، فلم ينطق بحرف واحد ، وإن شفى
وجهه المحترق عن كل ما يعمل فى نفسه من مشاعر
وانفعالات ، فقال (أدم) فى سرعة وحسم :
- أسرعوا .. سنغادر الهليوكوبتر .

قفزوا جميعاً خارج الهليوكوبتر ، وراحوا يعدون
مبتعدين عنها فى توتر ، فى نفس اللحظة ، التى انقض
فيها طيار الهليوكوبتر الحربية على نقطة هبوطهم ، وراح
يطلق التيران فى غزارة ، ويخترق ما تبقى من جسم
الهليوكوبتر ، وخزان وقودها ..

وانفجرت الهليوكوبتر فى عنف ، واشتعلت التيران فى
حطامها ، وراح طيار الهليوكوبتر الحربية يحوم حول
التيران بضع لحظات ، ثم التقط بوق جهاز اللاسكى ،
وقال :

- تم إسقاط الهدف فى منطقة الأحرار .. لا يمكن تأكيد
مصرع الجميع .. أكرر .

التقط (جوانزاليس) هذه الرسالة ، فاعتقد حاجباه فى
غضب ، وغمغم :
- اللعنة !

ثم أشار إلى جندى اللاسكى ، قائلاً فى حدة :
- مَرِه أن يستمر فى التحليق فوق المنطقة ، حتى
(شعار آخر .

نقل الجندى الرسالة إلى قائد الهليوكوبتر ، فى حين
التفت (جوانزاليس) إلى حارسه (يوراندى) ، الذى
تغطى معظم وجهه بالضامادات ، وقال فى غضب وعصبية
شديدين :

- هل رأيت ما فعله إهمالك وعقلك الغبى ؟! .. كنا نقبض
على الأمور كلها بين أصابعنا ، ثم لم نعد نثق بشيء .
تمتم (يوراندى) :

- لقد باعنتى ذلك المصرى ، و ...

قاطعه فى ثورة :

- لا أريد أية تبريرات .. سأقطع لسانك لو نطقت بعبارة
واحدة لا تروق لى .

وزفر فى حدة ، ثم استطرد :

- اسمع .. سأمنحك فرصة واحدة للتكفير عن خطئك هذا .

هتف (يوراتدى) فى لهفة :

- أنا رهن إشارتك يا سيدى .

أشار (جوائز اليس) إلى الخريطة ، وهو يقول :

- الطائرة سقطت هنا ، والطيار غير واثق من مصرع

رغابها ، وهذا يعنى أن سقوطها لم يكن حاسماً ، وما دام

هناك شك حول مقتل (بدروس) ورجل المخابرات

المصرى ، فسأفترض أنهما على قيد الحياة ، وهذا

- كما تعلم - يجعل موقفنا بالغ الخطورة ، لذا فسأصدر

أوامرى فوراً بمحاصرة الأحرار ، وإطلاق النار على كل

من يحاول الخروج منها ، ولدينا قوات هناك ، يمكنها تنفيذ

هذا الأمر خلال عشر دقائق على الأكثر ، ولكننى سأرسلك

لتقود هذه القوات ، وسأفوضك تماماً فى اتخاذ أى إجراء ،

تضمن به سلامتى .. هل تفهم ؟

أجاب (يوراتدى) فى حماس :

- بالطبع يا سيدى .. بالطبع .. لن أخذك هذه المرة ..

أؤكد لك .

أشار (جوائز اليس) بيده ، قائلاً :

- اذهب إنن .

انطلق (يوراتدى) لتنفيذ الأمر فى حماس شديد ، فى حين أمضى (جوائز اليس) أوامره على جندى اللامسكى ،
لنقلها إلى معسكرات الجنود ، المحيطة بالأحراش ، ثم عاد
يلتفت إلى الخريطة ، وهو يغمغم لنفسه :

- فتيكن يا سنيور (أدهم) .. أنت و (بدروس)

اللعين ربحتما هذه الجولة ، ولكن المباراة لم تنته بعد

بالفعل ، وعندما تنتهى ، لن يكون هناك سوى فائز

واحد ..

وبرقت عيناه ، وهو يستطرد :

- (جوائز اليس) .. الرئيس (جون جوائز اليس) .

وتضاعف بريق عينيه فى شدة ..

وفى شراسة ..

★ ★ ★

تأوت (جوانيتا) فى ألم ، وهى تستند إلى والدها ،
قبل أن تغمغم فى توتر :

- السير وسط هذه الأحراش يؤلمنى ، فلم أعتد بعد تلك

الرضوض التى أصابتنى ، من جراء سقوط انهليوكوبتر .

أجابها والدها فى حزم :

- هذا أفضل كثيراً من الموت برصاصات الهليوكوبتر

الأخرى .

وقال الطيار في حماس :

- الواقع أنني أعترف لسنور (أدهم) ببراعة منقطة
المنظير ، فما فعله يعد سابقة مذهشة في عالم الطيران
الحربي .. لقد نجونا بأعجوبة من تلك الهليكوبتر .

أشار (أدهم) إلى أعلى ، وهو يقول :

- ولكنها ما زالت تحوم حول المكان ، مما يوحي بأنها
في انتظار شيء ما .

سأله (بدروس) في قلق :

- شيء مثل ماذا ؟

هز (أدهم) رأسه في ببطء ، ودارت عيناه في المكان ،
في محاولة لاخترق حجب الظلام ، وهو يتمتم :

- لست أدري ، ولكنني لو كنت في موضع
(جوائز ليس) ، لحاصرت الأحرار كلها بحثاً عنا .

ازدرد (بدروس) لعباه في توتر ، وقال :

- فلنأمل ألا يفعل ، إذ أننا على مقربة من ضيعتي
السرية ، حيث نخفي الرئيس (بونزا) ، ونواصل علاجه .

سأله (أدهم) :

- أين هي بالضبط ؟

أشار (بدروس) بيده ، وقال :

- إلى الشرق مباشرة .. لو تجاوزنا هذه الأحرار ،
سنجد أمامنا طريقاً قديماً نصف ممهد ، و ...

قاطعته جلبة مباغتة ، مع صوت سيارات تقترب ،
فانعقد حاجباه في شدة ، وشعر بابنته تنتشبت به أكثر ،
وهي تقول في هلع :

- ما هذا بالضبط ؟!

أرهف (أدهم) سمعه جيداً ، وراح يدور برأسه في كل
الاتجاهات ، قبل أن يقول :

- تماماً كما توقعت .. رجال (جوائز ليس) يحاصرون
الأحرار ، والمواقع التي يتخذونها توحى بأنهم

سيستخدمون الأسلوب نفسه ، الذي كان يتبعه الأمريكيون
في (فيتنام) (*) ، وهو تمشيظ الأحرار من أربع

محاور رئيسية ، مع مساندات فرعية جانبية ، وهذا يعني
أننا نواجه المحور الشرقي الآن .

بد الأسى على وجه الطيار ، وهو يغمغم :

- كنت أعلم أننا لن ننجو من كل هذا .

صمت (أدهم) لحظات ، ثم قال في حزم :

- انفض عنك مشاعر الهزيمة هذه يا رجل ، فلم ينته
الأمر بعد .

(*) فوئام : دولة سابقة - في جنوب شرق (آسيا) ، معظمها جبال
وعضبة وأحراش ، مناخها مداري ، وديانتها الرئيسية الكاثوليكية واليهودية ،
دارت حرب طاحنة بين نصفها الجنوبي والشمالي ، وأبليت (أمريكا) بقواتها
(مايجون) ، ولكنها خسرت المعركة في النهاية ، أمام قوات (فيت كونج) .

سأنته (جوانيتا) فى لهفة :

- أيمكننا أن نفعل شيئاً ؟

أجابها (أدهم) :

- بالتأكيد .. سنشق طريقاً فى قلب المحور الشرقي ،

نخرج عبره من الأحراش ، و ...

قاطعها (بدروس) فى عصبية :

- تتحدث كما لو كان الأمر تقليدياً بسيطاً .

هــ (أدهم) رأسه ، وهو يقول فى حسم :

- مطلقاً .. إنه أمر بالغ الصعوبة والتعقيد ، ولكن ليس

أمامنا سوى تلك المحاولة ، مهما انطوت عليه من مخاطر .

ثم التفت إلى (جوانيتا) ، مستطرداً :

- انتظري هنا ، مع والدك والطيّار ، و ...

قاطعها (بدروس) فى صرامة :

- إنك لن تذهب وحدك .. لو أن القتال حتمى ، فلن

أجلس هنا فى انتظارك ، وأتركك نقاتل بمفردك .

تطلع (أدهم) إليه لحظة فى صمت ، ثم قال :

- فليكن .. سنتنظر (جوانيتا) هنا ، وعليك أن تحميها

بحياتك أيها الطيّار ، حتى نعود إليكما .. هل تحمل سلاحاً ؟

أجابها الطيّار بإيماءة من رأسه ، وهو يجيب فى حماس :

- مسدس وخنجر .

قال (أدهم) :

- عظيم .. استخدم الخنجر أولاً ، ولا تطلق النار

إلا للضرورة القصوى .. هل تفهم ؟ .. ليس من الجيد أن

نعلم عن وجودنا .

قال الطيّار فى حزم :

- اطمئن يا سيدى .. أنا أفهم هذا .

أشار (أدهم) إلى (بدروس) ، وتحرك الاثنان فى

سرعة وخفة ، حتى اختفيا وسط الأحراش ، فغمغمت

(جوانيتا) فى قلق بالغ :

- اتظنهما ينجحان فى عملهما هذا ؟

ابتسم الطيّار ، وهو يقول :

- أنا أعرف سنيور (بدروس) منذ حدثتى ، ونقد رأينا

جميعاً كيف يعمل رجل المخابرات المصرى ، وأعتقد من

هذا وذاك أن فرصتهما فى النجاح ليست بالضئيلة .

تنهدت ، وهى تغمغم :

- أتعشم هذا .

قالتها والقلق يعصف بنفسها ، وأذناها تلتقطان تلك

الأصوات ، التى تشير إلى أن قوات (جوائزليس) قد

أصبحت قريبة ..

قريبة للغاية ..

★ ★ ★

١١ - الأحراش ..

بدأ الإرهاق واضحا ، على وجه مدير المخابرات العامة المصرية ، الذى لم يغادر مكتبه قط ، منذ بدأت تلك المشكلة ، وعلى الرغم من هذا فقد اتهمك فى مراجعة كل الملفات والتقارير ، التى وردت عن (باراجواى) و (ألبرتو جوانزاليس) ، ودعك عينيه بسبابته وإبهامه ، وهو يقول لأحد رجاله :

- الموقف شديد التعقيد بالفعل هذه المرة ، فـ (أدهم) لا يواجه منظمة إجرامية ، كما فعل فى (إيطاليا) (*) ولا منظمة جاسوسية عالمية مثل (سكوربيون) (**) ، ولا حتى جهاز مخابرات معاد .. إنه يواجه دولة كاملة ، بكل سلطاتها وإمكاناتها ، وحيث تمتلك شرعيتها وقانونيتها ، وحتى لو قرروا إعدامه ، لن يمكننا عمل أى شئ لمساعدته .
قال الرجل :

- إنها ليست المرة الأولى ، التى يحدث فيها هذا

(*) راجع قصة (شيطان العاليا) .. المغامرة رقم ١٨

(**) راجع قصة (أرض الأموال) .. المغامرة رقم ١٣



والقلق يعصف بنفسها ، وأذناها تلصقان تلك الأصوات ، التى تشير إلى أن قوات (جوانزاليس) قد أصبحت قريبة ..

يا سيدي ، فلقد سبق تزميننا (أدهم) أن واجه قوات دولة كاملة ، عندما نجح في الفرار من المعتقل في (سيبيريا) (*) ، كما يقول ملفه .

تتهاد المدير ، وهو يقول :

- وهذا ما نعتد عليه تمامًا يا رجل .. مهارات (أدهم) وقدراته الخاصة ، ولكن لا تنس أنه معتقل الآن بالفعل ، داخل مبنى مخابرات (پاراجواي) ، وهذا يضاعف من دقة موقفه .

هز الرجل كتفيه ، وقال :

- ليس بأكثر مما كان عليه الموقف ، عندما تم اعتقاله في مبنى (الموساد) نفسه (* *) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد نجح في الفرار منه ، في سابقة تعد الأولى من نوعها ، في تاريخ عالم المخابرات الحديث .

أوما المدير برأسه إيجاباً ، وقال في إرهاق واضح :

- وهل تعتقد أن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه ؟

صمت رجل المخابرات ، ولم يحر جواباً ، وهو يتطلع إلى رئيسه في شيء من التردد والحيرة ، فلوح المدير بيده ، وقال :

(*) راجع قصة (النضال الجايبية) .. المغامرة رقم ٩٥

(* *) راجع قصة (أرض العدو) .. المغامرة رقم ٩٣

- دعنا نترك جواب هذا السؤال للتاريخ نفسه .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص على مكتبه ، فهب الرجل واقفاً ، مستعداً للانصراف ، ولكن المدير أشار إليه بالبقاء ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، ويقول في صوت قوي ، لا يشف قط عن حالة الإرهاق ، التي يمر بها :

- رئاسة المخابرات العامة .

ثم بدا شيء من التوتر على ملامحه ، بعد أن استمع إلى صوت محدثه ، وقال :

- نعم يا سيادة رئيس الوزراء .. نحن ندرس الموقف كله .

أجاب رئيس الوزراء عبر الهاتف :

- لقد أصدرنا بياناً رسمياً ، تنفي فيه كل ما نسبته إلينا (جواتزاليس) ، بل وتقدمنا بشكوى لمجلس الأمن ، نتهمه فيها بمحاولة التشهير بنا ، وأرسلت وزارة الخارجية احتجاجاً رسمياً ، على ما أصاب مندوبيها (أدهم) ، ولكن (جواتزاليس) قرر أنه سيدفع كل ما لديه من أدلة ، تثبت إدانة رجلنا .

قال المدير في لهجة متماسكة :

- وصلني تقرير بهذا يا سيادة رئيس الوزراء ، ونحن ندرس الموقف بناء على ما ورد فيه .

سأله رئيس الوزراء في توتر :
 - وما الذى تتوقع أن تتوصل إليه بعد الدراسة .. دعنى
 أنذكرك بأن الموقف متوتر ودقيق ، وحساس للغاية .
 شعر مدير المخابرات بالضيق ، وهو يجيب :
 - إننا نبذل قصارى جهدنا يا سيدي .
 صاح رئيس الوزراء :
 - ولكن رجلنا ما زال بين أيديهم .
 وضع المدير يده على بوق الهاتف ، وهو يزفر في
 ضيق ، وهم بإجابة رئيس الوزراء ، لولا أن ارتفع صوت
 جهاز (الفاكسميل) على مكتبه ، فأسرع رجل المخابرات
 يلتقط الرسالة الواردة ، ولم يكد يلقى نظرة عليها ، حتى
 برقت عيناه فى شدة ، فأشار إليه المدير بيده فى لهفة ،
 ليناوله إياها ، ورئيس الوزراء يقول :
 - أليكم وسيلة لتغيير هذا الموقف السخيف ؟؟
 قرأت عينا المدير بسرعة البرقية ، اننى تقول فى
 وضوح : إن هجوما قد وقع على مبنى مخابرات
 (باراجواى) ، بواسطة رجال المقاومة ، وأسفر عن فرار
 (أدهم) و (يدروس) من معتقلهما هناك ، فثأقت عينا
 المدير بدورها ، ورئيس الوزراء يهتف فى عصبية :
 - لماذا لا تجيب يا رجل ؟.. هن توجد وسيلة لتغيير هذا
 الموقف السخيف ؟

أجابه المدير فى حزم وثقة ، وهو يلوح بالبرقية :
 - لقد تغير الموقف بالفعل يا سيادة رئيس الوزراء ،
 ورجلنا لم يعد فى قبضة (جوائزاليس) .
 هتف رئيس الوزراء فى انفعال شديد :
 - أحق ما تقول ؟!
 أجابه المدير :
 - نعم يا سيدي .. واستأذا إلى خيرتى السابقة فى التعامل
 مع (أدهم صبرى) ، والنتائج التى حققها فى عمليات سابقة ،
 أكاد أشعر بالشفقة على (ألبرتو جوائزاليس) .
 قال رئيس الوزراء فى دهشة :
 - ماذا تقول يا رجل ؟!.. إنك تتحدث عن رئيس مؤقت
 لدولة .
 هز مدير المخابرات رأسه نفيا ، وقال :
 - بل أتحدث عن رجل مخابرات يعمل ضمن صفوفنا ،
 ويحمل ملفه لقباً خاصاً يا سيادة رئيس الوزراء .
 وبرقت عيناه مرة أخرى ، وهو يستطرد :
 - لقب (رجل المستحيل) ..
 ★ ★ ★
 تحرك رجال القوات الخاصة لجيش (باراجواى) فى
 حرص وتحفز ، عبر منطقة الأعراس الكثيفة ، وانقسموا

كالمعتاد إلى مجموعات صغيرة ، تتكوّن كل منها من ثلاثة جنود ، مدججين بالأسلحة وانقلاب اليدوية ، ومديرين على كل وسائل القتال الحديثة ، وغمغم رجل من إحدى المجموعات في توتر ، وهو يتحرّك إلى جوار زميله :
- أليكم فكرة عما نواجهه بالضبط ؟

أجابه أحد زميله :

- سمعته يقولون : إن بعض رجال المقاومة يختفون وسط الأحرار .

قال الثاني بسرعة :

- خطأ .. القائد نفسه أخبرني أن (جون بدروس) يختبئ هنا في الأحرار ، مع رجل المخابرات المصري ، الذي حاول اغتيال الرئيس ، ومهمتنا القضاء عليهما تمامًا .

هز الأول رأسه ، وقال :

- لست أدري لماذا أرفض تصديق تورط رجل مثل (جون بدروس) ، في مثل هذه الأمور .. إنه رجل أعمال ناجح ، وملياردير معروف ، ثم إن مواقفه الوطنية تؤكّد أنه ليس بخائن ، ولا يمكنه أن يقتل الرئيس (بونزا) ، أو يخطئ حتى لهذا .

ضحك الثاني ، وهو يقول :

- لو أنني في موضعه لقتلت (جوازرائيس) نفسه .
همّ الثالث بقول شيء ما ، لولا أن سمع الثلاثة فجأة صوته يقول :

- هذا ما أسعى إليه الآن .

استدار الجنود الثلاثة في سرعة ، يصوبون أسلحتهم إلى مصدر الصوت ، ولم يكذبصرهم يقع على صاحبه ، حتى هتف الأول :

- ربّاه ! إنه سنيور (بدروس) .

رفع الثاني والثالث فوهتي مدفعيهما بسرعة ، وهتف أحدهما :

- لا تتحرّك يا سنيور (بدروس) .. أنت أسيرنا .

فرد (بدروس) كفيه ، وهو يقول :

- روبك يا فتى .. أنا أعزل تمامًا كما ترى ، ولكنني أشك في أن تتجحوا في أسرى .

تبادلوا نظرة سريعة ، ثم قال أحدهم في صرامة :

- وكيف يمكنك أن تفتن منا يا سنيور (بدروس) ؟ ..

هل تتوقع معجزة من السماء ؟

ابتسم (بدروس) ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

- ولم لا ؟ .. ربما هبطت الآن على رؤوسكم .

ولم يكذبتم عبارته ، حتى قفز (أدهم) من الشجرة المجاورة ، وهبط على رؤوس الجنود الثلاثة كالصاعقة ، ومع هبوطه حطمت قبضته فك أولهم ، وأطاحت قدمه بمدفع الثاني ، وما إن استقر بينهم ، حتى لكم الثالث في أنفه بكل قوته ، ثم دار على قدم واحدة في مهارة مذهشة ، وركل الثاني في أنفه وفكه ..

ومع المفاجأة وقوة وسرعة الضربات ، هوى الجنود الثلاثة فاقضى الوعي ، دون أن ينس أحدهم ببنت شفة ، وارتفع حاجبا (بدروس) في دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى إعجاب واضح ، وهو يقول :

— سَتَظَلْ تبهرنى دائماً يا سنيور (أدهم) .

أجابه (أدهم) ، وهو يجرد أحد الجنود من أسلحته وملابسه العسكرية :

— أشكرك يا سنيور (بدروس) ، ولكن دعنا نؤجل عبارات التمدح هذه لما بعد ، أما الآن فسنجرّد هؤلاء من ثيابهم وأسلحتهم ، ثم نقيدهم في إحكام ، إلى جذع هذه الشجرة .

سأله (بدروس) ، وهو يؤدي هذا العمل في سرعة :

— هل عثرنا على مخرج هكذا ؟

أجابه (أدهم) :

— ليس تماماً ، ولكننا شققنا ممراً وسطهم على الأقل ، وسنحاول خداعهم نحصون على المزيد ، والخروج من دائرة الحصار .

سأل (بدروس) :

— وكيف هذا ؟

بدأ (أدهم) يرثى الزى العسكري لأحد الجنود ، وهو

يجيبه :

— سننتكر في زيهم العسكري ، ونعود لالتقاط (جوالينا) والطيار ، ثم نتحرك نحو الشرق مباشرة ، ولأن الطيار لن يرثى زياً عسكرياً مثلنا ، فسنتظاهر بأنه أسيرنا ، إذا ما قابلنا مجموعة ثلاثية أخرى ، وعندما نقرب منها سنباغتها بالهجوم ، ونستولى على ثيابها وأسلحتها ، حتى تبلغ نهاية الأحراش ، وسنجد هناك حتماً وسيلة لاستكمال القرار .

هز (بدروس) رأسه ، وابتسم قائلاً :

— كم أتمنى لو سارت الأمور دائماً بالبساطة نفسها ، التي تشرح بها خططك يا سنيور (أدهم) .

لم يجب (أدهم) هذه المرة ، وإنما استخدم بعض الحبال والأسلاك ، التي يحملها الجنود الثلاثة ، لتقييدهم

إلى جذع الشجرة، ثم كُسم أفواههم، وأشار بيده إلى (بدروس) .. وبدأ الاثنان تحركهما إلى داخل الأحراش، لاستعادة (جوانيتا) والطَّيَّار ..

واستغرقت رحلة عودتهما عشر دقائق فحسب، ولكن (بدروس) قال في قلق :

- أين (جوانيتا) والطَّيَّار ؟! .. المقروض أن يكونا هنا، توقف (أدهم)، وتلفت حوله في قلق، نجح في إخفائه في صدره وصوته، وهو يقول :

- هذا صحيح .. ربما شعرا بالخطر، واختفيا في مكان آخر، أو ...

بتر عبارته بغتة، وتحرك في سرعة نحو نقطة قريبة، فسأله (بدروس) في توتر :

- ماذا رأيت ؟! .. ماذا حدث ؟

اتحنى (أدهم) بفحص الأغصان المكسورة، والأعشاب المهروسة، قبل أن يجيب في ضيق واضح :

- لقد حدثت معركة هنا .. رجل أو رجلان، و ...

وبتر عبارته مرة أخرى، وهو يعقد حاجبيه في شدة، ويزيح بعض الأغصان جاثبا، فانتسعت عينا (بدروس) في شدة، وأطلق شهقة هلع وارتباغ، وهو يحث في جثة الطَّيَّار، الذي نحه أحدهم، وقطع عنقه من الأذن إلى الأذن، ثم ألقاه وسط الأحراش ..

وفي زعر شديد، هتف (بدروس) :

- و (جوانيتا) ؟! .. أين ابنتي (جوانيتا) ؟!

ولكن ابنته كانت قد اختفت ..

اختفت تمامًا ..

★ ★ ★

جن جنون (جون بدروس)، عندما لم يعثر على ابنته، فراح يدور حول نفسه، ويهتف في ثورة :

- أين ذهبت (جوانيتا) ؟! .. ما الذي فعله بها هؤلاء

الأوغاد ؟!

وحاول (أدهم) تهدئته، وهو يقول :

- رويدك يا سنيور (بدروس) .. من الواضح أنهم لم

يقتلوا (جوانيتا) .. لقد قتلوا الطَّيَّار وأسروها .

صرخ (بدروس) :

- أسروها ؟! .. هل تعتقد أن هذا يسعدني ؟! .. أنت

لا تعرف هؤلاء الأوغاد .. إنهم وحوش .. وحوش آدمية،

وابنتي بين أيديهم .. هل تترك ما انذى يمكن أن يفعلوه بها .

قال (أدهم) في حزم :

- اطمئن يا سنيور (بدروس) .. لو أنهم منوا شعرة

واحدة منها، فسوف ..

قاطعها صائحا :

- شعرة واحدة ؟!.. يا لك من متفائل .. سيسعدني كثيرا لو أنهم فقط حافظوا على آدميتها .. لقد أخذوا ابنتي يا رجل .. أخذوا ابنتي .. أين (جوانيتا) أيها الأوغاد ؟!.. أين هي ؟!..

كان صوته يتردد في الغابة ، على نحو يكفي لجذب كل جندي إلى موقعهما ، وعلى الرغم من هذا فلم يكتف (بدروس) بالصراخ ، وإنما ضغط زناد مدفعه صارخا : - أين هي ؟

وتردد نوى الرصاصات يشق الأحراش ، ويبدأ من الواضح أن فرق القوات الخاصة لجيش (باراجواي) ستقتض عليهما خلال دقائق معدودة ، لذا فقد صاح (أدهم) في صرامة وهو يجذب (بدروس) إليه :

- كفي يا رجل .. كفي .

استدار (إليه) (بدروس) في غضب جنوني ، وهو يصرخ :

- أنت المسئول .. أنت المسئول عما أصابها .
وصوب فوهة مدفعه إلى صدر (أدهم) ، الذي نظم ماسورة المدفع بيده اليسرى في سرعة ، ثم هوى على فك (بدروس) بلكمة صاعقة ، وهو يقول :

- معذرة يا رجل ، وتكنك اضطررتي لهذا .

ترنح (بدروس) في دهشة وألم ، وتكن (أدهم) أصابه بلكمة أخرى ، لا تقل قوة عن سابقتها ، فهوى الرجل فافد انوعى ، واستقبله (أدهم) بين ذراعيه ، وعلى مقربة منه صوت يهتف :

- انفضوا حول هذه النقطة .. الرصاصات انطلقت منها .
أسرع (أدهم) يحمل (بدروس) على كتفيه ، وهو يغمغم :

- سامحنى يا سنيور (بدروس) ، ولكن ليس أمامي سوى ما سافعله .

وتحرك بسرعة في اتجاه الشرق ، متخذًا مسار المجموعة الثلاثية ، التي أسقطها من قبل ، ولكنه لم يكد يتجاوز المكان بعشرة أمتار ، حتى وجد أمامه مجموعة أخرى من ثلاثة جنود أدهشتهم رؤيته ، وهو يرتدى زيا عسكريًا مماثلاً لهم ، فهتف به أحدهم في صرامة :

- من أنت يا رجل ؟!.. ومن هذا الذي تحمله ؟
أجاب (أدهم) في سرعة :

- لقد هاجمنا بعضهم ، وقتلوا أحد زملائي ، وأصابوا هذا ، وأنا أسرع به إلى المؤخرة ، ليتم إسعافه .
سأله الرجل في شك :

- ما رقمك أيها الجندي ؟ وما رقم وحدتك ؟

قال (أدهم) :

- اطمئن يا سيدى .. إتنى أحمل هويتى .

ثم رفع مدفعه بغتة ، مستطردا :

- ها هي ذى .

تحرك الجنود الثلاثة فى سرعة ، ورفعوا فوهات
مدافعهم ، ولكن رصاصات (أدهم) انطلقت أولا ،
وأطاحت بالمدافع الآلية الثلاثة ، واخترقت الأذرع
والسيقان ، فسقط الجنود الثلاثة أرضا ، وأسرع (أدهم)
يتجاوزهم بحمله ، ويمضى به نحو الشرق ، وسط
الأحراش الكثيفة ..

وفى ألم ، هتف أحد الجنود :

- هل سنتركه يمضى ؟

أجابه زميله فى حلق :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ؟! .. لقد أصاب كل جزء
فينا .

قال الثالث فى ألم ، يمتزج بالكثير من الدهشة :

- ولكنه لم يحاول قتلنا .. وهذا ما يدهشنى .

قالها وعيناه تتابعان (أدهم) ، حتى اختفى بين
الأحراش تماما ..

وفى خطوات سريعة حاسمة ، عبر (أدهم) الأحراش ،
حتى بلغ حافتها ، فتوقف يختلس النظر إلى ثلاث من
سيارات الجيب العسكرية ، توقفت بجنودها التسعة
لحراسة المخرج .

وراقب (أدهم) السيارات اثلاث جيدا ، وأحصى
الأسلحة والجنود ، ثم انتقط نفسا عميقا ، وهو يقول :

- على بركة الله .

ثم اندفع خارج الأحراش ، هاتفا :

- أسرعوا .. هذا الرجل يحتاج إلى (سعاف) .

استدارت إليه فوهات المدافع التسعة كلها فى النحظة
الأولى ، إلا أن الرزى الذى يرتديه ، واللهجة التى تطق بها
عبارته ، أزالا شكوك الجنود على الفور ، فحفظوا
أنسحتهم ، وتركوه يعدو نحو إحدى السيارات الثلاث ،
ويضع داخلها جسد (بدروس) ، ثم سألهم أحدهم :

- لقد سمعنا نوى رصاصات فى الداخل .. هل حدثت

اشتباكات مع الإرهابيين ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يقفز إلى مقعد قيادة الجيب :

- نعم .. إنهم يتقاتلون هناك .

صاح به الرجل :

- انتظر يا هذا .. ليس من حقت أن تقود هذه السيارة .

ولكن (أدهم) دفعه بقدمه فى قوة ، ثم رفع مدفعه
الآلى فى سرعة ، وأطلق رصاصاته على سيارة (الجيب)
المجاورة له ، وهو يضغط دواسة الوقود بكل قوته ..
وانطلقت السيارة وإطاراتها تطلق صريرا عاليا ، فى
نفس اللحظة اتى انفجر فيها خزان وقود السيارة الثانية ،
اندى أصابته رصاصات (أدهم) ، وصرخ الجنود فى
دهشة وغضب :
- إنه الجاسوس .

وانطلقت رصاصاتهم خلف (الجيب) ، اتى انطلق بها
(أدهم) بسرعة ومهارة كبيرتين ، وفى مسار متعرج ،
طاشت له معظم رصاصاتهم ، فقفز أربعة منهم داخل
السيارة المتبقية ، وانطلقوا خلفه ، ولكن (أدهم) تميم
وهو يمتحهم فى مرآة السيارة :
- معذرة أيها السادة .. ليس لدى وقت لمطاردات
سخيفة .

وأدار عجلة القيادة فى قوة ومهارة ، فدارت سيارته
حول نفسها على نحو مخيف ، ثم انطلقت فى مواجهة
السيارة الأخرى ، اتى يوغت ركبائها بهذه العبادة
العجيبة ، فصرخ قائدهم :
- ما الذى يفعل هذا المجنون ؟

امتزجت آخر حروف كلماته بدوى رصاصات المدفع
الآلى ، اندى يحمله (أدهم) ، وصوت ارتطامها بعمود
سيارتهم ، فضغط سائقها دواسة الفرامل فى حركة آلية ،
وتوقفت السيارة فى عنف ، قذف أحد الجنود خارجها ، فى
حين استدار (أدهم) بسيارته مرة أخرى ، وانطلق بها نحو
الشمال ، ورصاصات الجنود تلاحقه ، حتى اختفى وسط
الظلام ، فقال أحد الجنود فى حق :
- لقد تركناه يهرب .. الرئيس (جوائز ليس) لن يغفر
لنا هذا قط .
أجاب قائده :

- إنه لن يذهب بعيدا .. لقد انطلق نحو الشمال .. سنبلغ
قيادتنا بمساره ، وسيعثرون عليه حتما .
قالتا ، نون أن يدري أن (أدهم) قد انطلق نحو الشمال
لكيلو متر واحد ، ثم أطفأ أنوار سيارته ، وعاد أدراجه فى
هدوء ، حتى بلغ تلك الطريق نصف الممهد ، الذى أشار
إليه (بدروس) ، ثم انطلق عبره نحو الشرق مباشرة .
كان جرح الرصاصات ، التى أصابه بها (بوراندى) فى
المستشفى يؤلمه ، وينزف مرة أخرى ، ولكنه لم يتوقف
لحظة واحدة ، حتى بلغ تلك الضيعة ، التى حدث عنها
(بدروس) ، وعلى بوابتها الخارجية استقبله حارسان
مسحان ، استوقفا سيارته ، وقال أحدهما فى غلظة :

- هذه أملاك خاصة .. لا شأن للجيش بها .

أجابه (أدهم) فى توتر :

- لا تجعل هذا الذى يخذعك يا رجل .. لست أنتمى إلى جيش (باراجواى) .. وهذا الرجل الفاقد للوعى (إلى جوارى ، هو رئيسكم (جون بدروس) بشحمه ولحمه ، تبادل الرجلان نظرة ملوها الارتباك والتهلع ، وأسرع أحدهما بفحص (بدروس) ، ثم هتف بزميله ، وهو يقفز داخل السيارة :

- إنه على حق .. هذا سنيور (بدروس) .. افتح البوابة يا رجل .. أسرع بالله عليك .
ضغط الحارس الثانى زراً خفياً ، فالتفتحت البوابة ، وانطلق (أدهم) بسيارته عبرها ، والحارس الأول يرشده قائلاً :

- تجاوز تلك النخلة هناك ، وانحرف إلى اليسار ، وتوقف أمام الحظيرة .

انطلق (أدهم) فى المسار الذى حدده الرجل ، وتوقف أمام الحظيرة القديمة ، وهو يقول :

- والآن ماذا بعد .

قفز الحارس من السيارة ، وضغط حجراً من أحجار جدار الحظيرة القديمة ، فانزاح الجدار كله إلى اليسار ، ثم

ارتفع جزء من أرضية الحظيرة ، ليكشف مصعداً مفتوحاً ، أشار إليه الحارس هاتفاً :

- هيا .. منحمل سنيور (بدروس) إلى هناك .

عاوته (أدهم) على حمل (بدروس) إلى المصعد ، الذى بدا أنيقاً نظيفاً ، فضغط الحارس زراً داخله ، ليهبط بهما المصعد ثلاثة أمتار ، ثم يتوقف أمام صالة كبيرة ، أشبه بصالات استقبال المستشفيات ، وأسرع اثنان من الأطباء يستقبلان (بدروس) ، وأحدهما يسأل فى قلق :

- ماذا أصاب سنيور (بدروس) ؟ ولماذا يرتدى هذه الثياب ؟

أجابه (أدهم) :

- إنه فاقد للوعى فحسب .. اطمئن .

تأوه (بدروس) فى هذه اللحظة ، وهتف :

- (جوانيتا) .. أين (جوانيتا) ؟

ربت (أدهم) على كتفه ، قائلاً :

- اطمئن يا سنيور (بدروس) .. سنستعيدها بإذن الله .

انتفض جسد (بدروس) فى عنف ، وفتح عينيه عن

آخرهما ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، الذى تابع :

- يؤسفنى أن أفقدتك وعيك ، ولكن ..

قاطعه (بدروس) ، وهو يصرخ فجأة في غضب :
- أنقوا القبض على هذا الرجل .

ولم يكذب ينطقها ، حتى ارتفعت فوهات مدافع الحراس
الثلاثة في المكان نحو (أدهم) ، وتحفرت السبايات على
الأرصفة ، و ...
وتكهرب الموقف كله .

★ ★ ★



١٢ - نقطة الضعف ..

أطلت نظرة مخيفة من عيني (جوانزاليس) ، وبدت
ابتهاماته أكثر إثارة للتعجب ، وهو يتطلع إلى (جوانيتا) ،
قائلاً :

- آه يا (جوانيتا) العزيزة .. كم يسعدني أن أستقبلك في
مكتبي .

قالت (جوانيتا) في حدة :

- تستقبلني؟! .. لا داعي لتغليف الموقف بغلاف من
السكر يا (جوانزاليس) .. الحقيقة أنك اختطفتني ،
كما يفعل أي مجرم فقير ، وأتيت بي إلى هنا مكرهة .

رفع حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- أهنأك تتحدثين إلى عمك (ألبرتو) ؟

قالت في استهجان :

- عمي؟! .. إنني أفضل الموت ، على أن يكون لي عم
مثلك .

قهقه ضاحكاً ، قبل أن يقول :

- ماذا أصاب (جوانيتا) الصغيرة ، انتي طالما أهداها

عنها (ألبرتو) قطع الحلوى والشيكولاتة؟.. لقد فسدت براءتها، وصارت نسخة طيق الأصل من والدها (جون) .. عصبية منهورة، وحمقاء.

قالت (جوانينا) في غضب:

- واندى ليس أحق.

صاح بها (جوانزاليس) بغتة، وهو بضرب مكتبه بقيضته:

- بل هو كذلك.

تراجعت مذعورة، فتابع في ثورة:

- ماذا تطلقين على ما فعله إذن، لو لم يكن حماقة؟..

ما الذي يدفع مليارديرا مثله إلى إنشاء فرق للمقاومة وتزعيمها؟

استعادت شجاعتها، وهي تهتف في وجهه:

- ديكتاتوريتك.

جاء دوره ليتراجع في دهشة، وهو يهتف:

- ديكتاتوريتي؟.. هل تقولين إنه فعل كل هذا من

أجلي؟

قالت في ازدراء:

- أليس لك في هذا؟

انعقد حاجباه في شدة، وهو يقول:

- لماذا حرص على صداقتي إذن، كل هذا الوقت؟

ابستمت في سخرية معزوجة بالاحتقار، وهي تقول:

- لأنه كان يحصل منك على كل المعلومات التي يحتاج إليها لمقاومتك .. هل عرفت لماذا أيها العبقري؟.. قل لي

إذن: من الأحق في رأيك؟

احتقن وجهه، وهو يتطلع إليها في غضب، ثم سأل

(بوراندی):

- كيف عثرت عليها؟

أجابته حارسه الضخم في زهو:

- لقد اقتحمت الأحرار وحدي، ورحلت أمشطها

كما تعلمنا، وفجأة وجدتني أمامي، مع شخص آخر،

هاجمني في شراسة، عندما أردت أن أقترب منها، ولكنه

لم يصمد أمام قوتي، فنبخته كائنعا، وهاجمت تلك

المتوحشة، التي قاتلتني في شراسة أكبر، وخمشت وجهي

بأظفارها، قبل أن أضربها على رأسها، وأفقدتها وعيها،

وأنتى بها إلى هنا.

ثم أطلت من عينيه نظرة شرهة، وهو يسأل:

- هل سأحصل على مكافأة نظير هذا يا سيدي؟

مط (جوانزاليس) شففيه، ولوح بكفه، قائلا:

- أنت تستحقها هذه المرة.

تهللت أسارير (بوراندی)، ولكن (جوانينا) قالت

متحدية:

- حاول أن تنعم بالمكافأة أيها الخنزير ، فما إن تقع في قبضة أبي حتى ..

هوى (جوائز ليس) على وجهها بصفعة قاسية ، قتلت باقى العبارة فى حلقها ، فاحتقن وجهها فى شدة ، وهى تحلق فى وجهه بدهشة وألم ، ومال هو بوجهه نحوها ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

- إياك أن تنطقى بحرف واحد ، دون أن أسمح لك بهذا .. إنك لست فى إحدى ممتلكات والدك .. أنت أسيرة هنا ، ونحن لم نعتد التعامل مع أسرانا يمثل هذا الرفق .. كلمة واحدة زائدة وأرسلك إلى الدكتور (فرناندل) .. هل تفهمين ؟

ارتجف جسدها مع ذكر (شيطان باراجواى) ، الذى سمعت الكثير عن فظائعه ، واختنقت فى عينيها وحلقها دموع الألم والخوف والمهانة ، واعتدل (جوائز ليس) ، وهو يشير إلى (يوراندى) ، قائلاً :

- أرسل فرقتين لحماية مبنى الإذاعة والتليفزيون ، وأحضر سيارة الرئيس المصطفة ، فسألقى بيانا الآن .
أسرع (يوراندى) لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت (جوائز ليس) إلى (جوانيتا) ، وقال فى صرامة :



هوى (جوائز ليس) على وجهها بصفعة قاسية ، قتلت باقى العبارة فى حلقها ، فاحتقن وجهها فى شدة ..

- والآن يا (جوانيتا) الصغيرة سأرسلك إلى زنزانة نظيفة ، من تلك الزنزانات ، التي ندخرها للمقربين ، ولكن لو لم يستسلم والدك ، ويأتى بنفسه إلى هنا ، ويقبل قدمي ، سأنتقل مساء الغد إلى زنزانة أخرى ، إلى جوار حجرة الاعتراف .

انتفض جسدها مرة أخرى في عنف ، وراحت ترتجف في رعب هائل ، وهي تتخيل نفسها بين يدي الدكتور (فرناندل) ..

شيطان (باراجواي) ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (أدهم) في غضب ، عندما صوب الحراس الثلاثة أسلحتهم نحوه ، وقال في صرامة :

- ما الذي يعنيه هذا بالضبط يا (بدروس) ؟

صاح (بدروس) في وجهه :

- أنت المسئول عن كل ما حدث .. أنت أضعت ابنتي ..

أنت أيها الخائن الجاسوس .

قال (أدهم) :

- خائن وجاسوس ؟! .. أى قول هذا يا (بدروس) ؟ ..

لو أنني خائن وجاسوس ، فلماذا فعلت كل هذا ؟ ولماذا

أنقذت حياتك ، وأنتيت بك إلى هنا ؟

هتف (بدروس) في عصبية شديدة :

- إنها خطة ذكية ، لم أنتبه إليها في البداية ، ولكنى أعلم الآن ما الذي فعلته بالضبط .. لقد أطلقت النار على الرئيس ، وحاولت قتله مرة ثانية في المستشفى ، لولا أن سيقناك إلى هناك ، وأنقذنا الرئيس من مؤامرتك الحكيمة ، وبعد هذا تظاهرت بأنك تعمل معنا ، حتى نرشدك إلى مخبأ الرئيس ، فنقتله شر قتلة .

ثم صرخ في ثورة :

- ولكننا لن نسمح لك .. لن نسمح لك أبدا .. سنُعَذِّبك

أشد العذاب ، حتى تعترف بالمكان الذي أرسل إليه رؤساؤك

ابنتي (جوانيتا) .. هل تفهم ؟

قال (أدهم) في غضب :

- إذن فأنت تتصور أنني فعلت كل هذا لأصل إلى

الرئيس .

لوح (بدروس) بسبابته في وجهه ، وهو يصرخ :

- لا يوجد تفسير آخر ، وسأجبرك على الاعتراف ،

و ...

قبل أن يتم عبارته ، تحرك (أدهم) بغتة ، فجذب

ماسورة مدفع أحد الحراس الثلاثة ، وأزاحها جانباً ، وهو

يثب ليركل المدفع من يده الثانية ، ثم دار حول نفسه بسرعة

ومهارة مدهشتين ، وانتزع المدفع من يد الرجل ، وهو
يركض الحارس الثالث في وجهه بكل قوته ، ويسقطه فاقد
الوعي ..

واستدار الحارسان الآخران لقتاله ، بعد أن أفقدهما
سلاحيهما ، ولكنه هوى على فك أولهما بلكمة ساحقة ، ثم
التقط قبضة الثاني ، ولوى ذراعه خلف ظهره في قسوة ،
وهو يضرب الأول بقبضه ، ويدفع رأسه ليرطم بالجدار ،
قبل أن يهوى على مؤخرة عنق الثاني بلكمة عنيفة أفقدته
الوعي ..

وفي مرونة مدهشة ، انحنى (أدهم) يلتقط أحد المدافع
الآلية ، ثم وثب عبر الصالة ، وركل باب حجرة العنابة
المركزة ، التي يرقد داخلها الرئيس (بونزا) ، وصوب
المدفع إليه ، وصاح في (بدروس) :
- والان ما الذي ينقصني لتنفيذ خطتي ؟ .. أن أضغط
انزناد .

احتقن وجه (بدروس) في شدة ، وشحبت وجوه فريق
الأطباء ، ولكن (أدهم) ألقي المدفع أرضا ، وهو
يستطرد :

- هل يفتنك هذا بأننا نسعى للهدف نفسه يا (جون
بدروس) .

ارتجفت شفتا (بدروس) لحظات ، ثم خفض عينيه ،
وهو يقول في صوت أقرب إلى النكاء :

- اعذرني يا سنيور (أدهم) .. لقد فقدت سيطرتي
على أعصابي ، وقدرتي على التفكير المنطقي لبعض
الوقت ، ولكن الصدمة كانت قاسية جدًا على نفسي .. لن
يمكنك أن تتصور أبدًا شعور المرء ، عندما يفقد إينا ..
خفق قلب (أدهم) في عنف ، مع العبارة التي نطق بها
(بدروس) ، واستعاد ذهنه في جزء من الثانية تلك
اللحظات ، في وكر (سونيا جراهام) ، في جزيرة (هيل) ،
وهي تصرخ في جنون :

- ابني سيصحبني إلى أي مكان أذهب إليه يا (أدهم) ..
حتى ولو كان هذا المكان هو الجحيم نفسه .
وتداعت به الذكريات في سرعة ، حتى اللحظة التي
انتهت فيها من العد التنازلي ، وضغطت زر التفجير ،
و ... (*)

وانتفض جسده في عنف ، ودوى الانفجار يتردد في
أذنيه ، وغرق في موجة عارمة من الألم والحزن ، ولكنه
كتم هذا في أعماقه ، وهو يجيب في صلاية :
- بل يمكنني أن أتصور هذا يا سنيور (بدروس) ..
صدقني .

(*) راجع قصة (تضحية القاصصة) .. المغامرة رقم ١٠٠

هتف أحد الأطباء ، فى هذه اللحظة :

- رباه ١.. إنك تنزف فى غزارة يا رجل .

كان جرح (أدهم) ينزف بالفعل ، وكان الدماء تحل محل دموع الحزن والأسى والمرارة ، انثى عجزت عن هزيمة جفنيه ، والاتحدار على وجهه ، وظلت حبسة أعماقه ..

ولكن شيئاً ما جعل (بدروس) يستوعب مشاعر (أدهم) ، فغمغم :

- أنت تحتاج إلى عناية طبية يا سنيور (أدهم) .

قال (أدهم) :

- وأنت تحتاج إلى إعادة تقييم الموقف يا سنيور

(بدروس) .

أسرع بعض الأطباء ينزعون قميص (أدهم) ، ويعالجون إصابته ، وقال أحدهم :

- إنها رصاصة ، ولكنها لم تستقر فى ذراعه ، بل اخترقته من الناحيتين ، ومن حسن الحظ أنها لم تخترق العظام .

وانهمكوا فى تضميد جرح (أدهم) ، فى حين بقى (بدروس) صامثاً بعض الوقت ، ثم سأله فى أسى :

- أعتقد أن (جوائز اليس) سيقتلها ؟

هر (أدهم) رأسه تقياً ، وقال :

- بل أعتقد أنه سيسعى للمساومة بها .

هرع إليهما أحد الرجال ، فى هذه اللحظة ، وهتف :

- سنيور (بدروس) .. (جوائز اليس) يلقى بياناً بشأنك .

أسرع (بدروس) و (أدهم) إلى حجرة الأطباء ،

حيث يوجد جهاز تليفزيون كبير ، وشاهداً على شاشته

(جوائز اليس) فى زيه العسكرى ، وهو يقول :

- ولقد نجح رجائنا فى إلقاء القبض على (جواتينا) ..

ابنة الخائن (جون بدروس) ، والتي قادت فرق

المقاومة ، وقامت بمحاولة الاقتحام الفاشلة لمبنى

المخابرات ، ونحن نحتفظ بها حالياً ، ونواصل بحثنا عن

قائد المخربين ، الذى تزعم محاولة قتل رئيسنا المحبوب

(بونزا كورتينا) ، ولولم يتم العثور عليه حتى الثامنة من

مساء الغد ، سنبدأ فى استجواب ابنته ، فى حجرة

الاعتراف ، لعلها تكفى بما نحتاج إليه من معلومات .

انغمرت أصابع (بدروس) فى ذراع (أدهم) ، وهو

يقول فى عصبية شديدة :

- هل سمعت يا سنيور (أدهم) ؟ .. هل فهمت رسالة

ذلك القذر (جوائز اليس) ؟ .. إنه يطالبنى بتسليم نفسه ،

قَبْلَ الثَّامِنَةِ مِنْ مَسَاءِ الْغَدِ ، وَإِلَّا سَلَّمَ (جَوَانِيئًا) لِلشَّيْطَانِ
(فِرْنَانْدِل) .. يَا ثُلُوعْدَ الْحَقِيرِ !

احْتَمَلُ (أَدْهَمُ) أَصَابِعَ (بَدْرُوسَ) ، الَّتِي كَادَتْ تَخْتَرِقُ
لَحْمَ ذِرَاعِيهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

- اهْدَأْ يَا سَنِيُورَ (بَدْرُوسَ) .. إِنَّنَا فِي مَتْنَصِفِ اللَّيْلِ
الْآنَ ، وَمَا زَالَ أَمَامَنَا وَقْتُ لِلتَّفَكُّيرِ وَالتَّدْبِيرِ .

هَتَفَ (بَدْرُوسَ) :

- إِنِّهَا ابْنَتِي يَا رَجُلَ .. أَلَا تَفْهَمُ ؟! ابْنَتِي .

أَزَاحَ (أَدْهَمُ) يَدَهُ فِي رَفْقٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

- أَنَا أَتَفْهَمُ الْمَوْقِفَ وَأَقْدَرُهُ يَا سَنِيُورَ (بَدْرُوسَ) ،
وَتَكُنَّنِي أَرْفُضُ أَنْ يَنْجَحَ (جَوَانِزَالِيْسَ) فِي أَنْ يَفْقِدَنَا
أَعْصَابُنَا ، وَيُدْفَعُنَا إِلَى اتِّخَاذِ خُطْوَةٍ غَيْرِ مَدْرُوسَةٍ ، يَكُونُ
فِيهَا هَلَاكُنَا جَمِيعًا .

لَوَّحَ (بَدْرُوسَ) بِكَفَيْهِ فِي عَصْبِيَّةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

- أَنْتَ عَلَى حَقٍّ .. أَنْتَ عَلَى حَقٍّ .. الْأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى

تَفَكُّيرٍ ، وَدِرَاسَةٍ ، وَ ...

ثُمَّ بَرَّرَ عِبَارَتَهُ ، وَهَتَفَ :

- الْمَهْمُ هُوَ أَنْ نَنْقُذَ (جَوَانِيئًا) .

رَبَّتْ (أَدْهَمُ) عَلَى كَتْفِهِ ، وَقَالَ :

- سَنَنْقُذُهَا بِإِنِّ اللَّهِ يَا سَنِيُورَ (بَدْرُوسَ) .. اْمْنَحْنِي

بَعْضَ ثِقَتِكَ ، وَشَيْءٍ مِنْ اتِّصَالَاتِكَ وَمُسْتَعِيدٍ (جَوَانِيئًا) .
وَتَطْعَنَ (جَوَانِزَالِيْسَ) الْلَعِينُ فِي مَقْتَلٍ أَيْضًا .

هَتَفَ (بَدْرُوسَ) :

- حَقًّا ؟!

وَلَمْ يَجِبْ (أَدْهَمُ) ، فَقَدْ شَرِدَ بِبَصَرِهِ وَأَفْكَارِهِ ، وَهُوَ
يُدْرِسُ الْمَوْقِفَ ، وَيُضَعُّ خُطَّةَ الْجَوْلَةِ الْقَادِمَةِ ..

وَالْأَخِيرَةَ ..

★ ★ ★

تَطَلَّعَ (بَوْرَانْدِي) إِلَى سَاعَتِهِ ، وَهُوَ يَسْأَلُ رَئِيسَهُ
(جَوَانِزَالِيْسَ) :

- إِنِّهَا السَّادِسَةُ وَالنِّصْفُ .. هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ سِيَحْضُرُ
يَا سَيِّدِي ؟

ارْتَسَمَتْ عَلَى شَفَتِي (جَوَانِزَالِيْسَ) ابْتِسَامَةٌ وَاثِقَةٌ ،
وَهُوَ يَنْقُذُ بَخَانَ سِيَجَارِهِ الْكُوْبِيَّ ، قَائِلًا :

- لَيْسَ لَدَيَّ أَدْنَى شَكٍّ فِي هَذَا .

وَاتَّقَطَ نَفْسًا عَمِيقًا ، قَبْلَ أَنْ يَضِيفَ فِي زَهْوٍ :

- لَوْ أَنَّكَ تَعْرِفُ (جُونِ بَدْرُوسَ) كَمَا أَعْرِفُهُ ، لَأَدْرَكْتَ
أَنَّهُ رَجُلٌ فَرِيدُ الطَّرَازِ ، فَهُوَ عَصَامِيٌّ ، بِدَأَ حَيَاتِهِ مِنَ
النَّصْفَرِ ، وَكَافَحَ طَوِيلًا ، وَاحْتَمَلَ الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ ، حَتَّى
جَمَعَ ثَرْوَتَهُ ، وَكَوَّنَ إِمْبِرَاطُورِيَّتَهُ هَذِهِ ، وَلَقَدْ فَعَلَ كُلَّ هَذَا

بأساليب شريفة نظيفة ، وأمثال هذا الرجل يزدادون صلابة ، مع مرور الزمن ، بفضل ما قاسوه في رحلتهم الصعبة ، ولكن تكون لهم دوماً نقطة ضعف ، لا يمكنهم الصمود أمامها قط .. ونقطة ضعف (بدروس) الوحيدة هي ابنته (جوانيتا) .. إنه لا يحتفل إصابتها بأذى سوء ، وسيضحى بحياته ، لو اقتضى الأمر ، في سبيل إنقاذها .

سأله (بوراندى) ، وهو يلقي نظرة أخرى على ساعته :
- لماذا تأخر هكذا إذن ؟

نفث (جوانزائيس) دخان سيجاره مرة أخرى ، وهو يقول :

- سيصل قبل الموعد .. ثق بى .

لم يكذب عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقط ساعته ، ووضعها على أذنه في نهقة ، ولم يلبث أن هتف :

- وصل !؟ لا .. لا تلقوا القبض عليه .. احملوه إلى مكتبى على الفور ، ولكن فتشوه جيذاً ، لن يروق لى أن يباغتنى بمسدس قاتل .

وأعاد الساعة إلى موضعها ، وهو يضحك في ظفر ، قائلاً :

- أرايت يا (بوراندى) ؟ .. لقد جاء بنفسه .. هل أدركت الآن كم أعرف (جون بدروس) ؟
داعب (بوراندى) مسدسه ، وهو يقول :
- لماذا لم يحضر معه ذلك المصري ؟
أجابته (جوانزائيس) :

- فيما بعد يا (بوراندى) .. فيما بعد .. اثمهم أن نصل أولاً إلى الرئيس ، ونخلص منه ، وبعدها ستصبح كل مشكلاتنا هينة .

واعتدل في مجلسه ، وأطفأ سيجاره الفاخر ، في انتظار وصول (بدروس) ، ولم تمض عدة دقائق ، حتى كان الحراس يصحبون هذا الأخير إلى الحجر ، فتألفت عينا (جوانزائيس) ، وهو يتطلع إليه ، قائلاً في شماتة :

- كنت أعلم أنني سأتى بك إلى هنا مرغماً يا (بدروس) .

عقد (بدروس) حاجبيه في توتر ، وهو يقول :
- أين ابنتى يا (جوانزائيس) ؟

ابتسم (جوانزائيس) فى سخريه ، وقال وهو يشير للحارسين :

- اتصرفا ، واتركانا وحدنا .

سأله أحدهما فى اهتمام :

- أنت واثق من أنك لا تحتاج إلينا يا فخامة الرئيس ؟

أجابه (جوائز اليس) :

- نعم ، فالسيد (بوراندى) يستطيع أن يتولى الأمر

بنفسه .

أخرج (بوراندى) مسدسه ، ولوح به فى حركة تمثيلية ، وكأنما يؤيد قول رئيسه ، فانسحب الحارسان على الفور ، وأغلقا الباب خلفهما ، وقال (بدروس) فى حدة :

- لماذا لا تعترف لهما بالسبب الحقيقى ، الذى دفعك لصرفهما ؟ .. أنت لا تريد أن يعلم الجميع أنك ذلك الوغد ،

الذى حاول اغتيال الرئيس ، وإلا لانتقلوا عليك ، وجعلوك تدفع الثمن غاليا .

ابتسم (جوائز اليس) فى سخرية ، وقال :

- ماذا تقول يا عزيزى (بدروس) ؟ .. الجميع

يعلمون أن الذى حاول اغتيال رئيسنا المحبوب هو ذلك الجاسوس المصرى .

قال (بدروس) :

- فليكن .. لن نناقش هذه التسخافات الآن .. المهم

هو : أين ابنتى ؟ .. أين (جوانيتا) ؟

لوح (جوائز اليس) بكفه ، وقال :

- فى الحفظ والنصون يا عزيزى (بدروس) ، ولكن

ما الذى ستمنحني إياه ، مقابل استعدادتها .

قال (بدروس) فى غلظة :

- أظن أن الاتفاق واضح بيننا يا (جوائز اليس) .. أنت

تريد الرئيس ، وأنا أريد ابنتى وحريتى .

رفع (جوائز اليس) حاجبيه فى دهشة ساخرة ، وهو

يقول :

- اينتك وحريتك .. ألا تظن أنك تطالب الكثير

يا (بدروس) .

قال (بدروس) فى صرامة :

- هذا شرطى يا (جوائز اليس) .

هتف (جوائز اليس) :

- شرطك ؟!

ابتسم (بوراندى) فى سخرية ، عندما انفجر رئيسه

ضاحكا ، قبل أن يقول :

- ومن قال إنك تستطيع إملاء شروطك يا صديقى ؟ ..

إنك تريد ابنتك فى شدة .. أتيس كذلك ؟!

أجابه (بدروس) بنفس الصرامة :

- وأنت تريد الرئيس بشدة .

عقد (جوائز اليس) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

- يمكننى أن أرغمك على كشف مخبئه .

أطلت نظرة شديدة الصرامة من عيني (بدروس) ،
وهو يقول :

- أنت تعرفني منذ صبا يا (جوائز اليس) ، فهل تعتقد
أنك تستطيع إرغامى على هذا .

ازدرد (جوائز اليس) لعابه فى توتر ، ثم لَوَحَ
بذراعه ، قائلاً :

- أنت صديقى يا (بدروس) ، ولن أتناقش معك
طويلاً .. فليكن .. سأعطيك ابنتك وحررتك ، وتعطينى
الترليس .

ثم مال نحوه ، مستطرداً فى لهفة :
- أين هو يا (بدروس) ؟ أين تخفى الرئيس ؟

قال (بدروس) :
- أريد أن أرى ابنتى أولاً يا (جوائز اليس) .. لن

تحصل منى على حرف واحد ، قبل أن أتأكد من أنها بخير .
تبادلا نظرة قصيرة متحدية ، ثم تراجع

(جوائز اليس) ، قائلاً :
- كنت أعلم أنك ستصرّ على هذا .

ثم ضغط زراً فوق مكتبه ، وقال :
- أحضر الفتاة يا (فرناندل) .

لم يكذب قوله ، حتى دفع أحدهم باباً جانبياً ، وعبره
بصحبة الفتاة ، التى هفتت فى انفعال :

- أبى .
كان الرجل الذى يصحبها هو الدكتور (فرناندل) ..

شيطان (باراجواى) بنفسه ، ولقد رفق (بدروس)
بنظرة صارمة ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب :

- كيف حالك يا (جوانيتا) ؟
بدت عليها الدهشة لحظة ، ثم هفتت :

- فى خير حال يا أبى .. كم تسعدنى رؤيتك .
ابتسم (جوائز اليس) فى ثقة ، وهو ينقل بصره

بينهما ، ثم قال :
- ها هى ذى ابنتك يا عزيزى (بدروس) .. والآن

أخبرنى .. أين الرئيس ؟
قال (بدروس) :

- وما الذى يضمن لى سلامتى وسلامة ابنتى ، بعد أن
أخبرك ؟

هز (جوائز اليس) كتفيه ، ولَوَحَ بذراعه ، قائلاً :
- ليس أمامك سوى أن تمنحنى ثقتك يا عزيزى

(بدروس) ، فلو أننى أرغب فى تعذيب ابنتك ، لأرسلتها
مباشرة إلى (فرناندل) ، وأنت تعلم كم يروق له أن يتعامل
مع فتاة صغيرة وجميلة مثلها .

ابتسم (فرناندل) ابتسامة مقبلة، كشفت عن أسنانه
الصفراء غير المنتظمة، وكأنه يؤيد قول (جوانزاليس)،
الذى عاد يسأل فى صرامة:

- أين الرئيس يا (بدروس) ؟

تطلع إليه (بدروس) لحظة، ثم ابتسم فى سخرية،
وقال:

- هل ترغب حقًا فى معرفة مكانه ؟

ومع عبارته، انتفض (جوانزاليس) و (بوراندى)
و (فرناندل) فى عنف، إذ لم يكن الصوت الذى سمعوه هو
صوت (بدروس)، الذى يعرفونه جيدًا، وإنما كان صوت
رجل آخر، لا يمتنى أحدهم رؤيته، فى هذه اللحظة
بالذات ..

كان صوت (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★



١٣ - الصدمة ..

فتح الرئيس (بونزا كورتينا) عينيه فى إرهاق،
وتطلع فى ضعف إلى العيون المحذقة فى وجهه، والتقط
نفسًا عميقًا، قبل أن يسأل:

- أين أنا ؟

ميز من بين الوجوه ملامح وصوت (بدروس)، وهو
يقول:

- حمداً لله على سلامتك يا فخامة الرئيس .. أنت هنا
فى رعايتنا، ويسعدنا كثيرًا أن تمتعيد وعيك.

هتف الرئيس فى عصبية:

- أنا أعرفك يا هذا .. أنت (بدروس) .. (جون
بدروس) .. صديقك ذلك الخائن (جوانزاليس)، الذى
أطلق على النار.

ربت (بدروس) عثيه فى رفق، وهو يقول:

- اهدأ يا فخامة الرئيس .. هناك أمور عديدة تحتاج إلى
الشرح والتفسير، وأهمها أنني لست صديقًا لذلك الوغد
(جوانزاليس) ..

قال الرئيس فى دهشة :

- كيف هذا ١٢.. أنتما زميلا دراسة ، والجميع يعلمون أنه لا يثق بمخلوق ، مثلاً يثق بك !
ابسم (بدروس) ابسمامة باهتة ، وهو يقول :
- وهذا ما يحتاج إلى التفسير .
ثم جذب مقعداً ، وجلس إلى جوار فراشه ، مستطرداً :
- دعنى أرو لك الأمر كله يا فخامة الرئيس .
وفى صبر ، راح يشرح له كل ما حدث ، منذ أطلق عليه (جوائزليس) النار ، وحتى هذه اللحظة ، والرئيس يستمع إليه فى دهشة واستنكار ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

- ذلك الوغد (جوائزليس) .. سأفضحه فى كل مكان .. سأكشف أمره ، وأحاكمه ، و ...
قاطعه (بدروس) :

- لن يكون هذا بالأمر السهل يا فخامة الرئيس ، فهو ينتظر ظهورك لتتخلص منك ، وسينسب هذا للمصريين ، ورجلهم (أدهم صبرى) .

عقد الرئيس حاجبيه ، وهو يقول :

- وما الذى تقترحوه إذن ؟

التقط (بدروس) نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- الواقع أن لدينا خطة ، ويمكننا أن نعضى فيها الآن .
حاول الرئيس أن ينهض ، وهو يقول :
- دعونى أعاونكم على تنفيذها إذن .
هتف به رئيس فريق الأطباء :
- رويدك يا فخامة الرئيس .. إنك لم تتجاوز فترة النقاهة بعد ، ولا يمكنك السير .. لقد أحضرنا لك مقعداً متحركاً .

رفع الرئيس حاجبيه فى استنكار ، وهو يقول :
- مقعد ماذا ١٢.. هل فقدت القدرة على السير ؟
أجابه الطبيب بسرعة :

- مطلقاً يا فخامة الرئيس .. إنه أمر مؤقت ليومين أو ثلاثة ، حتى تنتهى فترة النقاهة ، وتتجاوز ضعفك هذا .
مط الرئيس شفثيه لحظات فى اعتراض ، إلا أنه لم يلبث أن قال :

- فليكن ، ولكن من الضرورى أن يكون لى دور فى خطتكم .

أوماً (بدروس) برأسه ، وقال :
- بالطبع يا فخامة الرئيس .. إنك صاحب الدور الرئيسى فى الخطة ، وسيبدأ دورك بعد عودة (أدهم) .

ثم شرد بصره ، وخفق قلبه فى قوة ، وهو يكمل :
- هذا لو أمكنه العودة .

واعتصر الخوف قلبه بشدة ..

★ ★ ★

حذق الرجال الثلاثة فى وجه مواقف أمامهم فى ذهول ،
وعلى الرغم من ملامح (جون يدروس) التى يحملها ، (لا
أنهم أدركوا تمامًا أنه ليس سوى (أدهم صبرى) ، رجل
المخابرات المصرى ، الذى وقع اختيارهم عليه - لسوء
حظهم - لتنفيذ خطتهم الجهنمية ..

وكان (بوراندى) هو أول من هزم ذهوله ، وهتف
وهو يستل مسدسه :

- اللعنة !.. إنه هو .

وثب (أدهم) جانبًا فى خفة ، ودار حول نفسه فى
رشاقة ، وركل المسدس من يد (بوراندى) ، ثم قفز
يلتقطه فى الهواء ، وهو يقول :

- من الخطأ أن تعبث بالأسلحة النارية أبها الخريت .
ولم يكذب يهبط على قدميه ، حتى لكم (بوراندى) فى
أنفه بكل قوته ، مستطردًا :

- فهذا يسبب بعض المتاعب السخيفة فى المساء .

تراجع (بوراندى) مع اللكمة العنيفة ، وتفتحت الدماء

غزيرة من أنفه ، ولكن قبضة (أدهم) الأخرى انفجرت فى
أسنانه ، فابتلع اثنتين منها ، قبل أن يتلقى اللكمة الثالثة
بين عينيه ، ويسقط فاقد الوعي ..

كن هذا حدث فى أقل من ثانية واحدة ، وعندما هوى
(بوراندى) ، كان (جوائزليس) يقفز نحو زر الإنذار فى
مكتبه ، ولكن صوت (أدهم) الصارم جمده فى مكانه ، وهو
يقول :

- افعلها يا (جوائزليس) ، وامنحنى مبررًا مناسبًا
تسبف رأسك بلارحمة .

اتسعت عينا (جوائزليس) فى رعب ، وهو يحرق فى
قوة مسدس (بوراندى) ، الذى يصوبه إليه (أدهم) ،
وارتجف صوته ، وهو يقول :

- سنيور (أدهم) .. لا تقتلنى .. أرجوك .

وهتفت (جوازيتا) فى سعادة :

- كنت أعلم أنك نلت أبى .. لقد عرفت هذا منذ اللحظة

الأولى .. أنا وحدى أدركت هذه الـ ..

قبل أن تتم عبارتها ، جذبها (فرناندل) من شعرها بفتة
فى قسوة ، واستل خنجرًا ، ووضعها على عنقها ، وهو
يهتف :

- ألقى مسدسك أبها المصرى ، أو أذبح الفتاة بلارحمة .

هتف (جوانزاليس) فى فرح ، وهو يلتقط فتاحة
الخطابات الحادة من فوق مكتبه ، وينقض بها على
(أدهم) :

- أحسنت يا (فرناندل) .. أحسنت .

ولكن (أدهم) قبض على معصمه ، ولواه فى عنف ،
والتقط فتاحة الخطابات بيسراه ، ثم هوى على رأس
(جوانزاليس) بكعب مسدسه ، فأعاده إلى مقعده فاقد
الوعى ، وهتف (فرناندل) فى عصبية :

- توقف .. توقف أو أذبح الفتاة .

استدار إليه (أدهم) فى صرامة ، وصوب إليه
المسدس ، وهو يقول :

- اترك (جوانيتا) أيها الوغد .

قال (فرناندل) فى عصبية :

- بل ألق أنت سلاحك .

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، وهو يكرر فى صرامة :

- اترك (جوانيتا) .

ازدرد (فرناندل) لعابه ، وهو يقول فى عصبية :

- لا تحاول تهديدى بمسدسك .. أنا أعلم أنك لن تجرؤ

على إطلاق النار قط ، فرصاصة واحدة تدوى هنا ، تكفى
لتحويل مبنى المخابرات هذا إلى ترسانة مسلحة ، لا يمكن
أن تفر منها ذبابة .

ثم برقت عيناه فى وحشية ، مع استطرادته :
- أما أنا فسادّيح الفتاة بلا رحمة ، وألحق دماءها
أيضا ، دون أن أخشى شيئا .

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة غاضبة ، وهو يقول :

- إنك لم تترك لى الخيار .

قالها ، وتحركت يده اليسرى فى سرعة ، وشبهقت
(جوانيتا) عندما مرقت فتاحة الخطابات على قيد
سنتيمترات من أذنها ، ثم سمعت من خلفها شهقة أخرى
مختنقة ، انطلقت من حجرة (فرناندل) ، الذى تراخت
يده المحيطة بعنقها ، فدفعت يده فى زعر ، وابتعدت عنه
بقفزة طويلة ، ثم استدارت تنطلق إليه ، وهتفت :

- يا إلهى !

كانت فتاحة الخطابات ، التى ألقاها (أدهم) ، قد
اخترقت عنق (فرناندل) ، الذى جحظت عيناه فى ألم
وارشاع ، وحاول أن يقول شيئا ما ، ثم هوى جثة هامدة ،
فصاحت (جوانيتا) :

- لقد قتلته .

أجابها (أدهم) فى حزم :

- أنا أبغض القتل دائما ، ولكن بعض البشر
لا يستحقون سوى هذا .

تطلعت مرة أخرى إلى جثة (فرناندل) ، ثم نقلت
بصرها بين (بوراندي) و (جوازاليس) القاعدي
الوعى ، وقالت :

- لقد هزمت ثلاثتهم ، ولكننا مازلنا داخل مبنى
المخابرات .. كيف تتوقع الخروج من هنا .

ابتسم وهو يقول :

- لدى خطة محدودة .

ثم التقط سماعة هاتف (جوازاليس) الخاص ، وقال :

- أنا الرئيس (جوازاليس) .. أريد طائرتى
التهنيوكوبتر الخاصة فى الفناء الآن .

اتسعت عينا (جوايثا) فى ذهول ، عندما نطق تلك
العبارة بصوت يماثل صوت (جوازاليس) تماماً ،
وصاحت وهو يعيد السماعة إلى موضعها ، وابتغت إليها
مبتسماً :

- كيف فعلت هذا ؟

هز كتفيه ، وقال :

- إنها هواية قديمة .

قالت فى دهشة بالغة :

- هواية ؟!.. ألا تعتقد أنها هواية غريبة بعض الشيء

يا سنيور (أدهم) .



كانت فتحة إخطابات ، التى ألغها (أدهم) ، قد انحوت على

(فرناندل) ، الذى جحظت عيناه فى أم وارتياح ..

ابتسم وهو يخلع سترته ، فسألته مستطردة :
- وحتى لو نفذوا الأمر ، وأتوا بالهليوكوبتر إلى
الساحة ، كيف يمكننا أن تصل إليها ؟.. هل نقفز من
النافذة ؟

هز رأسه نفيًا ، وقال :
- كلا .. لدى وسيلة أكثر بساطة .
قالها ومد يده ، ينتزع قناع (بدروس) عن وجهه ،
فاتسعت عينًا (جوائيتا) في دهشة ..
دهشة بالغة ..

★ ★ ★

استغرق مدير المخابرات في نوم عميق ، فوق الأريكة
الوثيرة ، في ركن حجرة مكتبه ، وراحت الكوايس
تهاجمه في شراسة ، وتصوره القضيحة العالمية ، التي
ستعرض لها (مصر) ، إذا ما قُتل (أدهم) في عمله ،
ورأى نفسه وسط محيط هائل متلاطم الأمواج ، وتحيط به
وحوش مخيفة ، و ...

سيدي
تسللت الكلمة إلى أذنيه ، فالتفض في قوة ، وفتح
عينيه قائلاً :
- ماذا حدث ؟

رأى أمامه مدير مكتبه ، يقول في خفوت :
- سيادة رئيس الوزراء هنا .
غمغم المدير في شيء من الحيرة :
- رئيس الوزراء !!

نطقها كما لو كانت هي المرة الأولى ، التي يسمع فيها
بوجود مثل هذا المنصب ، ثم لم يلبث أن استعاد صفاء ذهنه
دقعة واحدة ، قاعتدل جانسًا على الأريكة ، وهو يقول :
- ماذا أصاب الجميع ؟.. إنني أحتل منصبى هذا منذ
خمس أعوام ، لم يأت رئيس الوزراء أرض المينى بقدميه
خلالها ، سوى مرة واحدة ، عندما أتى لتهنئتي بالمنصب ،
والآن أتلقى منه ثلاث زيارات في يومين .

ابتسم الرجل ، وهو يقول :
- أنت تعرف دقة الموقف يا سيدي .
أوما المدير برأسه ، وهو يمسح وجهه ، مغمفًا :
- نعم .. أعرفه .
ثم سأله :

- وأين سيادة رئيس الوزراء ؟
أجاب الرجل ، مشيرًا بإبهامة :
- لقد دعوته للدخول إلى هنا ، ولكنه طلب منى إيقاظك
أولًا ، وقال إنه سينتظر في مكتبى ، حتى تغسل وجهك ،
وتستعيد نشاطك .

نهض المدير يلتقط سترته ، وهو يقول :
- بل دعه يدخل على الفور ، وأحضر لنا قندين من
القهوة بدون سكر .

قال اثرجل :

- على الفور يا سيدى .

و غادر الحجرة بسرعة ، ولم تمض دقيقة ، عدل خلالها
المدير رباط عنقه ، حتى دلف رئيس الوزراء إلى حجرته ،
وهو يقول :

- مساء الخير .. هل من أخبار جديدة ؟

أجابه المدير ، وهو يصافحه فى احترام :

- مساء الخير يا سيادة رئيس الوزراء .. ثم ترد إلينا
أية أخبار جديدة بعد ، لو أنك شاهدت ذلك البيان ، الذى
ألقاه (جوائزيس) .

جلس رئيس الوزراء ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

- لقد بدا بشعاً وهو ينقيه ، ولكن ما الذى قصده بإشارته
إلى حجرة الاعتراف هذه .

أجابه المدير :

- لديهم هناك فى مبنى المخابرات فى (باراجواى)
حجرة خاصة فى القبو ، يطلقون عليها اسم (حجرة
الاعتراف) ، ويستخدمون فيها أكثر أساليب القسوة

والوحشية ، لانتزاع الاعترافات ، عن طريق عدد من
أجهزة التعذيب ، تحت إشراف طبيب سادى ، يحمل اسم
(فرناندل) ، ويطلقون عليه هناك لقب (شيطان
باراجواى) .

مط رئيس الوزراء شفتيه ، وهو يغمغم :

- يا ثبشاعة !

ثم مال نحو المدير ، مستطرداً فى قلق :

- ولكن لو أردت رأى فى صراحة ، فما زلت لا أشعر
بالارتياح .. هل تنق بأن (أدهم) هذا يستطيع مواجهة
الموقف ؟

تتهجد مدير المخابرات ، وبدأ كما لو أنه قد سم هذا
السؤال ، ولكنه أجاب :

- الموقف فى (باراجواى) ليس عادياً يا سيادة رئيس
الوزراء ، وأعترف بأنه خطير ومعقد للغاية ، ومهمة
(أدهم) هناك ليست بالسهلة أو البسيطة ، إذ أنها لا تقتصر
على النجاة بنفسه فحسب ، وإنما عليه أن يثبت براءة
(مصر) أيضاً .

سأله رئيس الوزراء فى اهتمام :

- هل أوضحت له هذا الهدف ؟

هو مدير المخابرات رأسه نفياً ، فاحتقن وجه رئيس الوزراء ، وقال في حدة وعصبية :

- كيف تتوقع منه أن يفعل هذا إذن ؟

أجاب مدير المخابرات :

- هذا هو (أدم صيرى) يا سيادة رئيس الوزراء .. إنه ليس رجل مخابرات تقليدياً ، ولا يمكنك حتى أن تقنع شخصاً تمطياً بوجود مثله .. إنه حالة نادرة .. رجل لا يتكرر قط في الزمن الواحد .. إنه يدرك طبيعة مهنته جيداً ، ويستطيع تحليل الموقف واستنتاج طبيعته ، وتحديد أهداف مهمته وحدد ، كما أنه يمتلك موهبة العمل دون خطة مسبقة ، وابتكار وسائل التنفيذ المناسبة .

هتف رئيس الوزراء :

- سيادة المدير .. إنك تتحدث عنه كما لو كان أسطورة .

ابتسم المدير ، وقال :

- إنه كذلك بالفعل .

تطلع إليه رئيس الوزراء لحظات في شك ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، وهو يقول :

- ما زلت لا أشعر بالارتياح .

انبعث فجأة صوت آلة (الفاكسميلي) ، على مكتب المدير ، وظهرت منها رسالة ، التقطها المدير بسرعة ، فسأله رئيس الوزراء :

- أهى أخبار جديدة ؟

أجاب المدير :

- إنها برفقية من (أدم) ، يقول فيها إن الرئيس (بونزا) بخير ، وأنه سيستعيد وعيه بين ساعة وأخرى ، ثم يطلب منا متابعة قناة (سى . إن . إن) الإخبارية . ارتفع حاجبا رئيس الوزراء في دهشة ، وهو يقول :

- وما سر هذا المطلب الأخير ؟

قال المدير ، وهو يفكر في عمق :

- لست أدري بالضبط ، ولكن الشيء الذي أثق به ، هو أن متابعتنا لقناة (سى . إن . إن) الإخبارية ، ستحمل إلينا مفاجأة .

وكان على حق تماماً في استنتاجه هذا ..

إنه سي شاهد مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

★ ★ ★

اعتدل رجال الحراسة في احترام ، عندما مر أمامهم (بوراندى) ، بالضمادات التي تخفى وجهه ، وهو يدفع أمامه (جوانيتا) في غلظة ، وسمعود يسأنهم في صرامة ، بصوته الخشن الجاف :

- هل تم إعداد الهليوتويتر ؟

أجابه أحدهم :

- نعم يا سنيور (بوراندى) .. الهليوكوبتر معدة فى الساحة ، والطيار فى انتظار فخامة الرئيس .

قال (بوراندى) ، فى غلظة :

- لن يستقل فخامة الرئيس الطائرة .. لقد طلب إعدادها من أجلي ، لأنقل هذه الخائنة إلى القصر الجمهورى ، حيث سيتم استجوابها هناك .

قال الحارس فى احترام :

- نحن رهن إشارة فخامة الرئيس يا سنيور (بوراندى) .

مط (بوراندى) شفتيه فى غرور ، ودفع (جوائيتا) أمامه فى قسوة ، وهو يقول :

- هيا أيتها الخائنة .. لن نقضى حياتنا كلها هنا .

صاحت به فى غضب :

- ليس من حقك أن تعاملنى هكذا .. أريد محامياً .

أطلق ضحكة عصبية ، وقال :

- من الواضح أنك تجهلين وسائلنا يا ابنة (جون بروس) .

تابعه الحراس ببصرهم ، وهو يدفع (جوائيتا) أمامه ، متجهين نحو الساحة ، حيث تنتظر الهليوكوبتر ، وهمس أحدهم لزملائه :

- يا للممكنة !.. إنها لا تدري كيف يتم الاستجواب فى

المعتاد .

قال آخر :

- ستمتع ب هذا فى سرعة .. ألم تر كيف يعاملها

(بوراندى) ؟

هز الأول رأسه فى أسف ، حين قال ثالث :

- بمناسبة الحديث عن (بوراندى) .. ألا يبدو لكما

مختلفاً قليلاً ؟

ابتسم أحدهم ، وقال :

- مطلقاً .. إنه قبيح وقاس كعادته ، وتلك الضمادات

المحيطة بوجهه تزيد به بشاعة .

قال الرجل :

- ليس هذا ما أقصده ، ولكننى أشعر أنه أقصر قامة .

تبادل الآخرون نظرة دهشة ، وغمغم أحدهم :

- أقصر قامة ؟؟ .. نعم .. ربما .

وهتف آخر :

- وكيف يكون أقصر قامة ؟

قال ثالث :

- لو أن أحدهم ينتحل شخصيته .

ويدت الحيرة على الرابع ، وهو يقول :

وفجأة، برز (بوراندى) الأصيلى من نافذة حجرة الرئيس، وهو يصرخ :
 - أوقفوا هذا الرجل .. أنقوا القبض عليه .. إنه ينتحل شخصيتى .. لقد أصاب الرئيس .. أوقفوه .
 وهنا استل رجل الأمن مسدسه ، وهو يصرخ :
 - كنت أعلم هذا .

وتعالى دوى الرصاصات فى مبنى المخابرات مرة ثانية .

★ ★ ★



وماذا عن صوته ؟ .. لقد تحدث إلينا .. أليس كذلك ؟
 أريكم هذا القول الأخير ، فعادوا يتبادلون نظرة دهشة وحيرة ، ثم ضحك أحدهم فى ارتباك ، وقال :
 - يبدو أن أعصابنا متوترة كثيراً يا رفاق .. رأيتكم كيف تعاملنا مع موقف بسيط ، وكأنه خدعة قاتلة ؟
 ضحك آخر ، وقال :

- هذا صحيح .. كيف تصورنا أن أحداً يمكنه أن ينتحل شخصية آخر ، بهذه الدقة المذهلة .

ولكن واحداً منهم بقى معقود الحاجبين ، وغمغم فى عصبية :

- ولكنه أقصر قامة بالفعل .

ثم وضع يده على مسدسه ، مستطرداً :
 - ولن يضيرنا أن نتأكد .

وتحرك فى حزم نحو الساحة ، وهتف :

- سنيور (بوراندى) .. لحظة من فضلك .

لم يتوقف (أدهم) لحظة واحدة ، على الرغم من أنه سمع الهاتف فى وضوح ، وواصل طريقه مع (جوائيتا) نحو انهليوكويتر ، فهتف الرجل مرة أخرى :
 - انتظر يا سنيور (بوراندى) .. إنه أمر هام .

١٤ - إشارة البدء ..

توقفت سيارة أجرة أمام مستشفى (نيويورك)، وغادرها رجل متوسط الطول، رصين الهيئة، يرتدى منظاراً طبيّاً، وحلة أنيقة للغاية، ويحيط بغمه شارب ولحية قصيران، منحاه مظهرًا وقورًا، يفوق سنوات عمره بخمسة أو ستة أعوام إضافية، وحمل الرجل حقيبة الصغيرة، واتجه بها إلى مكتب استعلامات المستشفى، وقال بالإنجليزية سليمة تمامًا:

- أنا الدكتور (صبرى) .. (أحمد صبرى) .. أستاذ وخبير جراحات المخ والأعصاب .. لقد تم استدعائي من (المملكة العربية السعودية)، على نحو عاجل. راجعت موظفة الاستعلامات هذه البيانات على شاشة الكمبيوتر بسرعة، ثم قالت في احترام:

- مرحبًا بك هنا يا دكتور (صبرى) .. لقد تم استدعاؤك من أجل مريضة مصرية، في قسم الحالات المزمنة، تعاني غيبوبة عميقة غير قابلة للعلاج، وقريبها المصرى هو الذى طلبك بالذات، وقال إنه مستعد لدفع كافة التكاليف، و...

قاطعها الدكتور (أحمد صبرى) فى قلق:

- ما اسم هذه المريضة؟

ألقت الموظفة نظرة على الشاشة، وأجابت:

- اسمها (منى توفيق)، وقريبها يعالج هنا، من إصابة فى اليد اليمنى، واسمه ...

قاطعها الدكتور (أحمد) مرة أخرى:

- اسمه (قدري) .. أعلم هذا .. أين أجد قسم حالات الغيبوبة المزمنة هذا.

أجابته فى دهشة:

- فى الطابق الثالث إلى اليمين، ولكن دعنا نتحدث عن مصاريف الانتقال والتكاليف، و...

تهتف، وهو يتحرك فى خطوات سريعة نحو المصعد:

- اسطبل خانة التكاليف هذه .. سأقوم بكل العمل المطلوب مجانًا.

ارتفع حاجباها فى دهشة بالغة، وهى تهتف:

- مجانًا؟! وكيف تفعل هذا؟

رأته يقفز داخل المصعد، ويضغط زر الطابق الثالث، فهزت رأسها فى دهشة، وقالت فى استنكار:

- مجانين هؤلاء المصريون .. كيف يمكن أن يفعل المرء أى شيء مجانًا، مهما كان الثمن!؟

وهزت كتفيها في لا مبالاة ، وعادت إلى عملها .
أما الدكتور (أحمد) ، فلم يكد يصل إلى الطابق
الثالث ، حتى اندفع نحو قسم حالات الغيبوبة المزمنة ،
وهناك استقبله (قدرى) ، وهو يهتف في ارتياح :
- دكتور (أحمد) .. حمداً لله على سلامتكم .. كم
يسعدنى أنك حضرت بهذه السرعة .

سأله الدكتور (أحمد) في قلق بالغ :
- ماذا حدث يا (قدرى) ؟ .. ماذا هناك ؟
ارتجف (قدرى) في انفعال ، وهو يجيبه :
- لقد تدهورت حالة (منى) فجأة .. كانت حالتها
مستقرة ، حتى ذهبت لرؤيتها ، وأخبرتها أن (أدهم) في
مأزق شديد ، وأنه يحتاج إلينا .
هتف الدكتور (أحمد) :

- أخبرتها ماذا ؟
أجابه (قدرى) في ألم ، وكأنه يشعر بتأنيب الضمير :
- ثم أكن أعلم أنها تستطيع سماعى ، وفهم ما أقول ،
ولكننى لم أكد أبلغها ، حتى ارتفع نبضها ، واضطربت
الإشارات الصادرة عن مخها ، وزاد معدل تنفسها ،
فأسرعت أبلغ فريق الأطباء ، وراحوا يفحصونها جميعاً ،
ويحاولون فهم ما أصابها ، ولكن دون جدوى ، مما دفعنى
إلى استدعائك على الفور .

تطلع إليه الدكتور (أحمد) في حيرة ، وقال :
- ولكن هذا مستحيل يا (قدرى) .. لا يمكن أن تسمعك
(منى) ، وهى في مثل هذه الغيبوبة ، ثم إن ارتفاع معدلات
النبض وانتفاس يعنى أنها على وشك الخروج من
غيبوبتها .

قال (قدرى) ، وقد تجمعت فى عينيه دموع كبيرة :
- لقد ارتفعت المعدلات فى البداية فحسب ، ثم لم تثبت
أن تدهورت بشدة .. الشيء الوحيد الذى لم يتغير فيها هو
اضطراب إشارات المخ ، الذى لا يجد له الأطباء تفسيراً
هنا .

اتعقد حاجبا الدكتور (أحمد) لحظات ، ثم قال :
- فليكن .. دعنا نراجع ملفها أولاً ، ونلقى نظرة
عنها .

انحدرت دموع (قدرى) الساخنة ، وهو يراقب
(منى) ، التى بدت شديدة الشحوب ، وقد التفت حولها فريق
من الأطباء والممرضات ، وبينهم الدكتور (أحمد
صبرى) ، يناقشون حالتها ، ويراجعون تقاريرها
والفحوص التى أجريب لها ..
وكان من الواضح أن الموقف محير ..
محير بشدة ..

لقد ارتسم هذا على وجوه الجميع ، وبالأذات الدكتور (أحمد) ، الذى بدأ يفحص (منى) بنفسه ، ثم اعتدل ، وتبادل حديثاً قصيراً مع فريق الأطباء ، قبل أن يغادر الحجرة ، فاستقبله (قدري) قائلاً فى لهفة :
- ما رأيك ؟

تنهّد الدكتور (أحمد) فى عمق ، قبل أن يقول :
- كل ما رأيته وسمعته لا مثيل له ، فى كل الحالات الطبية المسجلة يا (قدري) ، حتى أننا اتفقنا جميعاً على أنه لا يوجد سوى تفسير واحد لحالة (منى) .
سأله (قدري) بصوت مضطرب :

- ما هو ؟
خفض الدكتور (أحمد) عينيه ، وهو يقول فى أسف :
- أن (منى) تحتضر .
وهوى قلب (قدري) من صدره ..

★ ★ ★

لم يكد رجل الأمن يستلّ مسدسه ، عند ساحة مبنى المخابرات ، حتى انتزع (أدهم) مسدس (يوراندى) الذى يحمله ، واستدار فى سرعة مذهلة ، وأطلق النار بدوره .. وفى نفس اللحظة التى أصابت فيها الرصاصة مسدس رجل الأمن ، وأطاحت به بعيداً ، كان زملاؤه ينتزعون مسدساتهم ، و (يوراندى) يصرخ من أعلى :

- أنقوا القبض عليه .

صرخت (جوانيتا) فى فزع ، ولكن (أدهم) أمسك يدها فى قوة ، وانطلق يعدو معها نحو الهليكوبتر ، ومن خلفهما انطلقت رصاصات رجال الأمن ..
وهتف الطيار فى دهشة ، عندما رأى (أدهم) يدفع

(جوانيتا) داخل الهليكوبتر :
- ما الذى يحدث بالضبط ؟

استدار (أدهم) يطلق النار على رجال المخابرات ، ثم وثب بدوره داخل الهليكوبتر ، وهتف بالطيار ، وهو يدفعه خارجها :

- حدث أننى لا أثق بقيادتك يا رجل .

سقط الطيار من الهليكوبتر ، فاحتل (أدهم) مقعده فى سرعة ، وضغط الأزرار ، وجذب عصا القيادة ، فارتفعت الهليكوبتر بسرعة مخيفة ، ورصاصات الرجال ترتطم بجسمها من الخارج ، وصاحت (جوانيتا) فى هلع :

- سيصيبون الهليكوبتر بأضرار فادحة .

أجابها فى حزم ، وهو ينطلق بالطائرة :

- اطمئنى .. إنها طائرة (جوانزاليس) الخاصة ، وهى مصفحة ، وليس من السهل إصابتها .

كانت تتوقع منه أن يبتعد بالهليكوبتر بأقصى سرعة ، ولكنها فوجئت به يحوم حول المبنى ، فهتفت :

- ما الذى ستفعله بالله عليك؟ لماذا لا تبعد عن هنا بأقصى سرعة؟

أجابها (أدهم) فى هدوء مستفز:

- انتظر رد الفعل.

صاحت:

- تنتظر ماذا؟ أسرع يا رجل، وإلا بدعوا فى

مطار دتنا.

دار بالهنيوكويتر دورة أخرى، حول مبنى المخابرات،

ثم قال:

- لقد بدأت المطاردة.

نطقها فى ارتياح عجيب، جعل حاجباها يرتفعان بدهوة، وخاصة عندما لمحت ثلاث طائرات هنيوكويتر حربية تتطلق نحوهما، وقالت فى حنى، عندما بدأ (أدهم) ينطلق مبتعدا:

- لماذا انظرتهم؟

ابتسم ساخرا، وهو يقول:

- خشيت أن يفقدوا أثرى.

هتفت فى ذهول:

- ماذا؟!

اكتفى بإبتسامة غامضة هذه المرة، وهو يدفع عصا القيادة، وينطلق بالهنيوكويتر بأقصى سرعتها..

ولكن موقفه لم يكن وحده سر دهشتها..

لقد أدهسها أيضا موقف الطائرات الحربية الثلاث، إذ اكتفت بمطاردة الهليوكويتر من بعيد، دون أن تطلق رصاصة واحدة نحوها..

كل هذا جعلها تشعر أنها أمام سر غامض..
وعجيب..

انفض جسد (جوانزاليس)، مع تلك الصرخة التى أطلقها (بوراندى)، لتحذير رجال الأمن من (أدهم)، واعتدل يحذق فيه بدهوة، ثم أدار عينيه فى حجرته الواسعة، ورأى الدكتور (فرناندل) جثة هامدة، و (بوراندى) فى ثيابه الداخلية، يصرخ عند النافذة، وسمع صوت هنيوكويتر ترتفع، و (بوراندى) يصرخ:

- لقد هرب.. لقد تركوه يهرب.

ثم اندفع داخل الحجرة، وهتف عندما رأى (جوانزاليس):

- سيدى.. لقد استعدت وعيك.. حمدا لله.. رجل المخابرات المصرى انتحل شخصيتى، ونجح فى الهروب.. هل أطلب من طائراتنا مطاردته يا سيدى؟ إنه يستقل طائرته الخاصة.

حذق (جوانزاليس) فى وجهه بدهشة وذهن مثنت ،
وقال :

- نعم .. افعل .

النقط (بوراندى) سماعة الهاتف ، وصاح :

- الخائن هرب فى هليوكوبتر الرئيس .. انطلقوا خلفه .

وهذا استعداد ذهن (جوانزاليس) صفاءه بقة ،

فاختطف السماعة من يد (بوراندى) ، وهتف :

- لا تطلقوا عليه النار .. طاروده وحدوا موقع هبوطه

فحسب .

وأعاد السماعة إلى موضعها ، فحذق (بوراندى) فى
وجهه بدهشة ، وهتف :

- لماذا يا سيدي ؟.. لماذا لا تتسفه طائراتنا ؟

أجابه (جوانزاليس) فى صرامة :

- إنه يستقل طائرتى الخاصة أيها الغبي .

ثم عقد حاجبيه ، وقال :

- ولكن هذا ليس السبب الرئيسى .

سأله (بوراندى) فى حيرة :

- وما السبب الرئيسى يا سيدي ؟

أشار (جوانزاليس) بيده ، وقال :

- إلى أين سيذهب المصرى فى رأيك ؟

قال (بوراندى) :

- إلى حيث يخبئ (بدروس) ، نعيد إليه ابنته .

قال (جوانزاليس) فى حماس :

- عظيم .. وأين يخبئ (بدروس) ؟

هز رأسه فى حيرة ، مغمغا :

- لست أدري .

أجاب (جوانزاليس) :

- أفضل مكان يخبئ فيه ، هو المكان نفسه الذى

يخفون فيه الرئيس ، فهو فى نظرهم ، أفضل مكان آمن ،

بدليل أنهم اختاروه لهذا الغرض .

أدرك (بوراندى) ما يعنيه رئيسه ، فهتف :

- نعم .. نعم .. هذا صحيح .

ابتسم (جوانزاليس) ، وهو يقول :

- دعه يفر إذن ، ودعنا نتعقبه من بعيد ، وسنعرف أين

سيذهب ، وأين يخبئ (بدروس) ، وأين يخفى الرئيس ،

وعندئذ ..

اكتفى بطرقة إصبعيه كجواب ، ولكن (بوراندى) أكمل

فى حماس :

- وعندئذ نلقض على الجميع ، ونسحق زعيم

المقاومة ، ثم نقتل الرئيس ، ونهزم المقاومة بقتله .

أشار إليه (جوائز اليس) بسبّابته ، قائلاً :
- بالضبط .

تهلّلت أسارير (بوراندى) ، وهو يهتف :
- أنت عبقرى يا سيّدى .. عبقرى حقيقى .

اتسعت ابتسامته (جوائز اليس) ، وهو يقول :

- هذا أمر طبيعى يا (بوراندى) .. أنا العبقرى الوحيد
هنا ، وعندما تنتهى من مهمتنا ، سأبقى رجل المخابرات
المصرى حتى انتهائية ، حتى يعلم أنه حتى لو ربح معظم
الجولات ، فإن ما يحسم النتائج فى النهاية هو الجولة
الأخيرة وحدها .

وبرقت عيناه فى شدة ..

★ ★ ★

توترت أعصاب (جوائيتا) كثيراً ، و (أدهم) ينطلق
بالحليوكوبتر فى خط مستقيم ، وهتفت به :

- ما زالوا يتبعوننا .

قال فى هدوء :

- عظيم .

صاحت به فى حدة :

- سنيور (أدهم) .. هل تعمل لحسابنا ، أم لحساب

(ألبرتو جوائز اليس) ؟

أجابها فى هدوء :

- لا هذا ولا ذاك ، أنا أعمل لحساب (مصر) وحدها .

صاحت غاضبة :

- أمر يستحق الإعجاب ، ولكن ، ألم تنتبه أيها الوطنى
المخلص ، إلى أنك تتطلق فى خط مستقيم تماماً ، وبلا أدنى
مناورة أو مواربة ، متجهاً إلى ضيعة والدى السرية ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال فى هدوء :

- لقد لاحظت هذا .

قالت فى عصبية أكثر :

- وهل لاحظت أيضاً أننا لو واصلنا السير على هذا
النحو ، فستكشف طائرات الهليوكوبتر الثلاث التى
تطاردنا ، موقع ضيعة والدى السرية بمنتهى البساطة ؟

مال بالحليوكوبتر جانباً ، وهو يقول :

- دعينا نتظاهر بالمناورة ، ومحاولة الإفلات منهم .

قالت فى دهشة :

- وماذا بعد نظاهرننا هذا ؟

أجاب فى بساطة :

- سنقلقهم بعض الوقت ، ثم نعود إلى مسارنا الأول .

هتفت :

- لن يخدعهم هذا .

قال مبتسماً :

- أتعتّم ذلك .

قالت في عصبية :

- إذن فأنت تتوقع منهم أن يواصلوا تعقبك ، حتى تصل إلى ضيعة أبي السرية ، حيث يخفى الرئيس .

أوماً برأسه إيجاباً ، وقال :

- بالضبط .

احتقن وجهها في شدة ، وهي تقول :

- آه .. لقد فهمت .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- كنت أتوقع هذا ، فأنت فتاة ذكية ، و ...

انقضت فجأة على عصا القيادة ، صانحة :

- أنت خالّن يا سنيور (أدهم) .

أنت تلك المبادرة المياغطة إلى اختلال توازن

الهليوكوبتر ، فأنحرفت في عنف ، ومالت على نحو بالغ

الخطورة ، فصاح بها (أدهم) :

- ماذا تفعلين أيتها الحمقاء ؟! .. مستسببين في سقوط

الهليوكوبتر !

تشبّثت بعصا القيادة في إصرار وعناد ، وهي تهتف :

- هذا أفضل .. سنموت معاً ، بدلاً من أن ترشدكم إلى

مخيل أبي والرئيس .

انتزعها (أدهم) من عصا القيادة في عنف ، وهو يقول :

- أيتها الغبية .. لست تفهمين شيئاً .

راحت الهليوكوبتر تميل يمينا ويساراً في عنف ،

وطائرات الهليوكوبتر الحربية الثلاث تتابعها في حيرة

ودهشة ، حتى حسم (أدهم) المعركة ، عندما وضع

(جوانيتا) على مقعدها ، وضغط على كنفها في قوة ،

ليمنعها من الحركة ، وهو يسيطر على عصا القيادة من

جديد ، هاتفاً :

- يا لك من طفلة مثقلة بخيفة .. كيف تصوّرت أنه من

الممكن أن أخون والدك ؟! .. لقد تصوّرت أنك فهمت أنها

خدعة مقصودة ، ووالدك على علم بها .

هتفت في دهشة :

- خدعة مقصودة .

ثم عابت تعقد حاجبيها في شدة ، وهي تستطرد :

- لست أصدّقك .. لا يمكن لوالدى أن يوافق على جذبهم

إلى حيث يخفى الرئيس .

قال (أدهم) ، وهو يهبط بالهليوكوبتر ، على بعد ستين

متراً من المزرعة :

- هذا ما سيتوقعونه أيضاً .



انطلق يعلو ، وهو يجذبها خلفه ، حتى وصل إلى المزرعة ..

ثم جذبها خارج الهليوكوبتر ، مستطردًا :

- ولكن والدك سيخبرك بنفسه .

انطلق يعلو ، وهو يجذبها خلفه ، حتى وصل إلى المزرعة ، فصاحت به :

- لو أنها خدعة لجذبهم ، فلماذا هبطنا بعيدًا ؟

أجابها وهو يتجاوز النوبة الخالية من رجال الحراسة :
- حتى لا تبدو كخدعة مكشوفة .

قادها في صرامة إلى ذلك المصعد النسرى ، فى الحظيرة القديمة ، وهبط معها إلى القسم الطبي ، ولم يكذ والدها بنمحتها ، حتى هتف فى سعادة :

- (جواتينا) .. ابنتى الحبيبة .

أثقت (جواتينا) نفسها بين ذراعى والدها ، وبكى الاثنان فى حرارة ، فى حين انتزع (أدوم) قناع (بوراندى) ، وألقاه بعيدًا ، وهو يقول :

- ابنتك أرهقتنى كثيرًا يا سنيور (بدروس) .

ضحك (بدروس) فى سعادة ، وهو يضم ابنته إليه ، قائلاً :

- هذا دأبها .

ثم سأل (أدوم) فى اهتمام :

- هل نجحت فى جذب الذباب ؟

أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً ، وخنق ستره (بوراندى) ،
قائلاً :

- نعم .. وعيننا أن نستعد لاستقبالهم .

هتفت (جوانيتا) :

- أبى .. هل كنت تعلم أنه سيفعل هذا ؟

أجابها والدها مبتسماً :

- بكل تأكيد .

وتبادل نظرة سريعة مع (أدهم) ، وهو يستطرد :

- لقد اقتربت المباراة من نهايتها يا بنيتى ، وستكون

النهاية مبتكرة .. مبتكرة للغاية .

قائلاً وعاد يتبادل نظرة مع (أدهم) ، وابتسم كلاهما

ابتسامة واسعة ..

وغامضة ..

غامضة للغاية ..

★ ★ ★



١٥ - الجولة الأخيرة ..

« لا يمكننى تصديق هذا ...! »

لقى الدكتور (أحمد صبرى) هذه العبارة ، وهو يهز رأسه فى حيرة ، ويراجع كل التقارير الخاصة بـ (منى) للمرة العاشرة ، ثم التفت إلى (قدري) ، مستطرداً :

- لا يوجد سند علمى واحد لهذه الأعراض .. النبض وانتفُس انخفضا إلى المعدلات الطبيعية ، فى حالات الغيبوبة المزمنة ، ولكن إشارات المخ لا تزال مضطربة ، وتسجل نشاطاً زائفاً ، بالنسبة للحالة ، وكأن (منى) واعية تماماً .

قال (قدري) ، فى أسمى :

- لقد سمعتنى .. أنا المسئول عن هذا .

نوح الدكتور (أحمد) بيده ، وهو يهتف :

- مستحيل ...! لا يمكن أن يحدث هذا علمياً .. انفارقون فى الغيبوبة العميقة لا يبدون أية نشاطات حيوية ، ثم إنك تحدثت إليها من خلف الحاجز الزجاجى لحجرتها ، كما أخبرتنى ، ومن المستحيل أن تسمع ما قلته فى هذه الحالة ، حتى ولو كانت واعية .

قال (قدرى) فى حزن :

- لا يوجد تفسير سوى هذا .

نوح الدكتور (أحمد) بسببته ، وقال فى حزم :

- العلم يرفض هذا .

انتفض (قدرى) فى حق ، وهو يقول :

- فليذهب العلم وقواعده إلى الجحيم .. لست أومن بكل

هذا ، قدر إيماني بلغة القلوب .

حق الدكتور (أحمد) فيه دهشة ، وهو يقول :

- لغة ماذا ؟

أجابه فى حدة :

- لغة القلوب .. تلك اللغة غير المكتوبة ، والتي لا يؤمن

بها سوى من يحبون بعق ، فهم يدركون أن قلوبهم

تتجاوب مع بعضها ، دون أن تتحرك ألسنتهم ، فأحد القلبين

ينقبض ، والثانى يرتخى .. هل تفهم هذه اللغة ؟

هز الدكتور (أحمد) رأسه فى دهشة ، وقال :

- كلا ..

ثم أضاف فى حدة مماثلة :

- ولكن هذا مجرد كلام فلسفى أنيق ، قد يصلح لمجلة

نسانية ، أو لسلسلة روايات رومانسية ، ولكنه لا يصلح

كمراجع علمى ، وحالة (منى) تحتاج إلى دراسة علمية .

عقد (قدرى) ساعديه أمام صدره ، وقال :

- هذا شأنك .

بدا الضيق على وجه الدكتور (أحمد) ، وقال :

- اسمع يا (قدرى) .. لست هنا للتصارع ، ولكن

للتعاون معاً ، من أجل (منى) .

عادت الدموع تترقق فى عيني (قدرى) ، وهو يقول :

- وهل يمكننا أن نتحدا الدواء المناسب ؟

صمت الدكتور (أحمد) لحظات ، ثم أجاب :

- الواقع يا عزيزى أن حالة (منى) لا تحتاج إلى دواء

سأله (قدرى) :

- ما الذى تحتاج إليه إذن ؟

صمت الدكتور (أحمد) لحظات أخرى ، وشرد ببصره

قبل أن يقول :

- إلى معجزة .

واتهمرت الدموع ثانية من عيني (قدرى) ..

★ ★ ★

استعدت طائرات الهليكوبتر انحرابية الثلاث للإقلاع ،

من ساحة مبنى مخابرات (باراجواى) ، وجرى

(بوراندى) خلف (جواتزائيس) ، قائلاً :

- أمن الضرورى أن تشرف على هذه الحملة بنفسك

يا سيدى ؟

أجابته (جوانزاليس) ، وهو يتخذ مقعده ، داخل واحدة من الطائرات الثلاث :

- بالطبع أيها الغبي .. هل تتوقع مني أن أصدر أمراً لشخص آخر ، يقتل الرئيس فور رؤيته ؟! .. أتسيئ أن كل هؤلاء الذين نقودهم ، مازالوا يدينون بالولاء للرئيس (بونزا) ، وأنهم لا يتعاونون معنا ، إلا نقتلهم بأننا نسعى لإنقاذهم .

قال (بوراندی) ، وهو يتخذ مقعده إلى جواره :

- يمكنني أن أفعل هذا وحدي .

هز (جوانزاليس) رأسه نفياً في قوة ، وهو يقول :

- كلاً .. سأؤدي هذه المهمة بنفسى .. ثم أعد أتق بأحد .

ثم انتفت إلى طيار الهليكوبتر ، وصاح :

- هيا بنا .

أقلعت طائرات الهليكوبتر الثلاث دفعة واحدة ، وسأل (بوراندی) ، وهى تنطلق نحو الهدف :

- هل تكفى طائرات ثلاث ، لقتال رجال المقاومة ؟

أجابته (جوانزاليس) :

- هناك أربع فرق من القوات الخاصة ، تحيط بالضبعة الآن ، ولكن الجميع ينتظرون وصولنا ، ولن يطلقوا رصاصة واحدة قبل هذا .

أوما (بوراندی) برأسه متفهماً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وظل على صمته طوال الطريق ، حتى وصلت الطائرات إلى ضبعة (يدروس) السرية ، وهبطت في ساحاتها ، ولم يكد (جوانزاليس) يغادر طائرته ، حتى تقم منه قائد فرق القوات الخاصة ، وأدى التحية العسكرية في احترام ، وهو يقول :

- العميد (كارلوس) فى خدمتك يا فخامة الرئيس .. لقد حاصرنا الضبعة ، ولكننا لم نجد أدنى مقاومة ، ويبدو أن الجميع فروا قبل وصولنا .

صاح (جوانزاليس) فى غضب :

- غزوا ؟! .. كيف يحدث هذا أيها العميد .. لقد أهملتم تنفيذ واجبكم .

أجابته العميد فى حزم :

- لقد وصننا فور تلقينا الأمر يا فخامة الرئيس .

صاح به (جوانزاليس) :

- ربما يختبئون فى الداخل .. أعطنى أحد مكبرات الصوت .

ناولته أحد الجنود مكبراً صوتياً ، فصاح عبره فى صرامة :

- إلى كل من يختبئ فى المزرعة .. استسلموا فوراً ، وإلا نسفنا كل حجر فى المكان .

مضت لحظات من الصمت ، ثم ارتفع علم أبيض ، من
جانب الحظيرة القديمة ، واندفع الجنود ينقون القُبُص على
صاحبه ، الذى ارتجف قائلاً :

- الرحمة !.. أنا لم أفعل شيئاً أيها السادة .. أنا سايس
خيول مسكين ، لاشأن لى بما يحدث هنا .
سأله (جوائزائيس) ، فى صرامة وحدة :
- أين ذهب الجميع ؟.. أين اختفوا ؟

نُوح الرجل بيده ، وهو يقول :
- لقد غادروا المكان بسرعة يا سيدي .. هربوا
مذعورين ، وكأن شياطين العالم كله تطاردهم ، حتى أنهم
لم يحملوا المريض معهم .

سأله (جوائزائيس) فى لهفة :
- أى مريض ؟
أجابه الرجل مرتجفاً :

- ذلك الذى يحتفظون به أسفل الحظيرة القديمة .. لقد
تركوه مع اثنين من الأطباء ، ورحلوا كلهم .
تبادل (بوراندى) و (جوائزائيس) نظرة سريعة ، ثم
سأل الأخير الرجل :

- هل يمكنك أن تقودنا إلى حيث يخفون ذلك المريض ؟

أجاب الرجل بسرعة :

- بالطبع يا سيدي .. بالطبع .. صحيح أنهم
لا يشركوننى فى عملهم ، إلا أننى كنت أختلس النظر ،
وأعرف الكثير عن هذا الأمر .

وقادهم إلى الحظيرة القديمة ، وضغط ذلك الحجر ،
فانزاح الجدار جانباً ، وبرز المصعد السرى من الأرضية ،
فهتف (بوراندى) مبهوراً :

- يا للدهاية (بدروس) .. لم يكن من الممكن أن تكشف
هذا الأمر قط .

وقال العميد (كارلوس) ، فى حذر :
- احترس يا فخامة الرئيس .. ربما كان فخاً .
أشار إليه (جوائزائيس) ، قائلاً :

- سنتحري هذا الأمر .
التفت العميد إلى اثنين من رجاله ، وقال :

- (خوان) .. (بابلو) .. اهبطا إلى أسفل ، و ..

قاطععه (جوائزائيس) ، فى صرامة :

- كلا .. (بوراندى) سيهبط وحده .

هتف (بوراندى) :

- أنا رهن إشارتك يا سيدي .

وقفز داخل المصعد ، وهبط به إلى أسفل ، حيث بقى
لحظات ، ثم عاد إلى أعلى ، وقال وعينه تبارقان فى شدة :

- الرجل على حق يا سيدي .. إنه وحده مع طبيبين .
هتف العميد (كارلوس) :
- فخامة الرئيس (بونزا) هنا ؟ يا لسعادتنا !.. لقد
نجحت مهمتنا .

قال له (جوائزليس) في صرامة :
- لا تتسرع يا رجل .. انتظر حتى ألتقي بالرئيس ،
وأؤكد من أنه بخير .
ثم اتجه إلى المصعد ، مستطردًا :
- هيا يا (بوراندي) .
ارتفع حاجبا العميد (كارلوس) في دهشة ، وهو
يهتف :

- مستحيل !.. لا يمكنك أن تهبط وحدك إلى هناك
يا سيدي .. هذا يخالف كل القواعد والإجراءات الأمنية
المتعارف عليها !!! دعني أرسل اثنين من رجالي أولاً ،
ثم ...

قاطعه (جوائزليس) ، في غضب صارم :
- ماذا أصابك يا رجل ؟.. أنسيت أنني أنا الذي يضع
القواعد الأمنية هنا ؟
غمغم العميد في حيرة متوترة :
- لا .. لم أنس يا سيدي .. ولكن ..

قاطعه (جوائزليس) في حدة :
- لا يوجد لكن .. انتظر هنا حتى أعود إليك .. هذا أمر .
أدى العميد التحية العسكرية ، وهو يقول :
- كما تأمر يا سيدي .

وتعلق بصره بالمصعد ، الذي استقله (جوائزليس) ،
بصحبة حارسه الخاص (بوراندي) ، الذي أمسك مسدسه
الآلي في قوة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة جذل ،
والمصعد يهبط بهما ، حتى اختفى على سطح الأرض ،
فزر العميد في توتر وعصبية ، وقال :

- ما الذي يحدث هنا بالضبط ؟!.. (لني لم أشاهد مثل
هذا في حياتي كلها .. الرئيس المؤقت للبلاد يأتي بنفسه
إلى حملة أمنية ، ويصر على التحرك بصحبة حارسه
الخاص وحده ، في موقف يوحي بالشك ؟!.. إنه أمر يثير
الحيرة ..

أتاه صوت من جانب الحظيرة ، يقول :
- ربما لا يصلح (جوائزليس) لمنصبه قط .
استدار العميد في سرعة ، مع عدد من رجاله ، إلى
مصدر الصوت ، وارتفعت فوهات أسلحتهم نحو المتحدث
بحركة آلية ، ثم اتسعت عيونهم في ذهول ، وهتف العميد :
- مستحيل !

فقد كانت أمامهم مفاجأة مذهشة ..
مذهشة للغاية ..

★ ★ ★

التقط (جوانزاليس) نفثا عميقا ، وهو يهبط إلى القسم
الطبي ، وسأل (يوراندى) فى انفعال :
- أنت واثق من أنه هناك بنفسه ؟
أجاب (يوراندى) فى حماس :
- نعم .. إنه يجلس على مقعد متحرك ، غير مسلح ،
ويصحبه طبيبان لرعايته ، ولكن أحدا منهم لم يلمحنى ..
لقد اختلست نظرة سريعة ، ثم تسلفت عائدا .
فرك (جوانزاليس) كفيه ، وهو يقول :
- عظيم .. هكذا نستطيع أن نقتل الرئيس ، وندعى أننا
وجدناه صريحا ، وأن رجال المقاومة قتلوه قبل فرارهم ..
رائع يا (يوراندى) .. كل شيء يسير على ما يرام .
وصل بهما المصعد إلى صالة الانتظار ، فعبراها فى
خطوات سريعة ، ثم دفع (يوراندى) باب حجرة العناية
المركزة يقدمه ، وهو يشهر مسدسه ، هائفا :
- انتهت فترة العلاج أيها السادة .. مستسلم المريض
الآن .

تراجع الطبيبان فى هلع ، فى حين انعقد حاجبا الرئيس
فى غضب ، وهو يتطلع إلى (جوانزاليس) ، الذى وقف
عند الباب ، وهتفا :

- (جوانزاليس) .. أيها المجرم الحقير .. ما الذى أتى
بك إلى هنا ؟ .. هل تريد إكمال جريمتك ؟ .. ألم يكفك أن
أطلقت النار على صدرى ؟

ابتسم (جوانزاليس) فى سخرية ، وهو يقول :
- كان هذا أكبر خطأ ارتكبته فى حياتى يا فخامة
الرئيس .

قال الرئيس فى دهشة :
- هل أتيت لتعتذر ؟

أطلق (جوانزاليس) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن
يقول :

- أعتذر ؟! .. كلا يا فخامة الرئيس .. الاعتذار لم يدر
بخلى قط .. الخطأ الذى أتحث عنه ، هو أننى لم أطلق
النار على رأسك مباشرة .. كان هذا كفيلا بإنهاء المتاعب
كلها دفعة واحدة .

قال الرئيس فى غضب :
- وكنت ستنسب هذا إلى مندوب الخارجية المصرى ..
أليس كذلك ؟

أشار (جوانزاليس) إلى رأسه ، وقال :

- هذه هي العبقرية .. أنا أطلق النار ، والمصريون يسدّدون فاتورة الذخيرة .

قال الرئيس في ازدياد :

- ولماذا المصريون بالذات ؟ .. لا يوجد عداء محدود بيننا وبينهم !

قال (جوانزاليس) :

- وهذا سيجعل موقفنا قويا ، وقابلا للتصديق . فلماذا نلحق التهمة لـ (مصر) بالذات ، مادامت لا توجد ضغائن خاصة بيننا ؟ .. تبرير بسيط ، يمكنني أن أقنع به رجال الصحافة والإعلام ، وعندما يسألون : ولماذا تفعل (مصر) هذا ؟ .. أرسم على وجهي علامات الاستكثار والأسى ، وأنا أجيب : سلوا المصريين .

فإنها ، وأطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يستطرد :
- وعلى أية حال ، لقد انتهت المباراة يا فخامة الرئيس ،
ونم يعد هناك ما يقلق .

ثم التفت إلى (بوراندي) ، وقال :

- أقتل الجميع .

وترجع خطوتين إلى الخلف ، ليفسح المجال أمام (بوراندي) ، الذي برقت عيناه في جنل ، واستل مسدسه ، وصوبه إلى الرئيس ، وابتسم (جوانزاليس) وهو يقول :

- الوداع يا فخامة الرئيس .. سنفتقدك كثيرا ، ولكننا

سنقيم احتفالا سنويا في ذكراك .. اطمنن .

وأشار إلى (بوراندي) ، مستطرذا :

- هيا .. أنه هذا الموقف بسرعة .

ودوت الرصاصات في القسم انطوى ..

★ ★ ★

عندما دوت الرصاصات الأولى ، كان (جوانزاليس) يبتسم في ظفر وشماته ، ولكنه فوجئ بأن الرصاصة لم تنطلق من مسدس (بوراندي) ، وإنما أصابته ، وأطاحت به إلى ركن الحجرة ، ورأى الرئيس يمسك مسدسا قويا ، تتصاعد من فوهته الأنخنة ، وهو يقول :

- معذرة يا (جوانزاليس) ، ولكنني أكره الاحتفالات السنوية ، وخاصة عندما تقام في ذكراي .

حاول (جوانزاليس) أن يلتقط مسدسه ، ولكن رصاصة أخرى أطاحت به إلى الركن الآخر ، وهتف (بوراندي) :

- لقد استل الرئيس مسدسه بسرعة فائقة ، حتى أنني

ثم ...

قاطعته (جوانزاليس) ، في حلق :

- إنه ليس الرئيس أيها الغبي .

نهض (أدهم) فى هدوء ، من المقعد المتحرك ، دون أن ينزع قناع الرئيس ، أو يبدل صوته ، وقال :

- انتهت المباراة يا (جوائزاليس) .. كانت هذه هى الجولة الأخيرة ، ولقد خسرتها بجدارة .

قال (جوائزاليس) ، فى حدة :

- لم تنته المباراة بعد يا هذا .. لا أحد يعلم ما حدث هنا ، والجميع يتصورون أنك مجرد جاسوس أرسلته (مصر) ، ليقتل رئيسنا المحبوب ، ولن يمكنك أن تقتلنى ، لأنك لا تستطيع مواجهة ذلك الجيش فى الخارج .. أنا لا أخسر المباراة قط أبها المصرى ..

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

- أخطأت هذه المرة يا (جوائزاليس) .. لقد خسرت المباراة تمامًا .. بل وخسرت كل شيء آخر فى حياتك .. وربما حياتك كلها .

ورفع يده ، وطرع سبائته بإبهامه ، فانزاحت المرايا المعلقة على الجدران من الجانبين ، وظهرت من خلفها آلات تصوير تليفزيونية ، وعددهم من الفنانين والمصورين ، فشحب وجه (جوائزاليس) فى شدة ، وهتف (بوراندى) :

- ما هذا بالضبط ؟

أشار إليهم (أدهم) ، قائلا :

- دعنى أقدم لك الفريق الخاص للتحقيقات الخارجية ، لمحطة (سى . إن . إن .) الإخبارية .. لقد تم تصوير كل ما فعلته ، وكل حرف نطقت به ، وبثته الأقمار الصناعية على الهواء مباشرة ، لكل الدول التى تتابع هذه المحطة الإخبارية العالمية .. لقد انكشف أمرك يا (جوائزاليس) ، ولم يعد لديك ما تخفيه .

ازداد شحوب وجه (جوائزاليس) ، حتى صار أشبه بوجوه الموتى ، وسمع من خلفه صوتًا يقول :

- الرجل على حق يا (جوائزاليس) .. لقد خسرت .
استدار (جوائزاليس) فى انهيار إلى مصدر الصوت ، ورأى أمامه الرئيس (يونزا كورتينا) الحقيقى ، على مقعده المتحرك ، وخلفه (بدروس) والعميد (كارلوس) ، الذى عقد حاجبيه ، وشبك كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

- (أنبرتو جوائزاليس) .. إننى ألقى انقبض عليك بتهمة الخيانة العظمى ، ومحاولة اغتيال رئيس الدولة ، وتسيير انقلاب ثقلب نظام الحكم .

امتقع وجه (بوراندى) ، وهو يلتصق بالجدار ، فى حين اتهاز (جوائزاليس) ساقطًا على ركبتيه ، أمام الرئيس (يونزا) ، وهتف :

- الرحمة .

وكن اتعيون كلها رمقته بنظرات قاسية صارمة ، أدرك معها أنه لم يعد يستحق الرحمة ، وأنه ليست المباراة وحدها هي التي بلغت نهايتها .. بل حياته أيضًا ..

★ ★ ★

تهللت أسارير رئيس الوزراء في شدة ، وهو يتابع ما يحدث على شاشة التليفزيون ، على الهواء مباشرة ، عبر الأقمار الصناعية ، في حين هتف مدير المخابرات في حماس منقطع النظير :

- لقد فعلها .. فعلها (أدهم صبرى) مرة أخرى .. أنم أقل لك إن هذا سيحدث يا سيادة رئيس الوزراء ؟ .. لقد هزم (أدهم) (جوائز ليس) ، وجعله يثنى باعتراف كامل ، على الهواء مباشرة ، أثبت خلاله براءة (مصر) من هذه الجريمة القنرة .. هل رأيت كيف يعمل هذا الرجل الفذ ؟ .. ألا يستحق نقبه ؟

هتف رئيس الوزراء في حماس :

- بل يستحق ما هو أكثر من هذا ، سأوصي السيد الرئيس بمنحه نوط الشجاعة ، أو وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، أو ...

قاطعه مدير المخابرات :

- معذرة يا سيادة رئيس الوزراء ، فمع احترامي وتقديري لكل هذه الأنواط والأوسمة ، (لا أن) (أدهم) لم يفعل ما فعل ، لأنه يسعى للحصول على أي منها .. إنه - لو لاحظت - لم يكشف وجهه الحقيقي على شاشات محطة (سى . إن . إن .) .. لقد فعل (أدهم) كل هذا ، لأن (مصر) تحتاج إليه .

قال رئيس الوزراء ، في انبهار :

- وهذا هو الرجل ، الذى تحتاج إليه (مصر) .. أريد أن ألتقى بهذا الرجل ، فور عودته إلى (مصر) .. قل له أن يركب أول (طائرة) وسأستقبله فى المطار بنفسى .
تتحنن مدير المخابرات ، وقال :

- معذرة يا سيادة رئيس الوزراء ، فقلت أعتقد أن (أدهم) سيأتى من (پاراجواى) إلى هنا مباشرة ، إذ إنه كان يرغب فى الذهاب إلى (أمريكا) أولاً ، ولكن (جوائز ليس) أصر على اصطحابه معه ، لذا فسيتم حتماً إلى (نيويورك) ، قبل عودته إلى هنا .

قال رئيس الوزراء :

- أمن الضرورى أن يذهب إلى هناك ؟

أوماً مدير المخابرات برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم ، فقد ترك شيئاً هناك .

سأله رئيس الوزراء في فضول :

- أى شيء هذا ؟

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم ابتسم ، وهو يجيب في اقتضاب :

- قلبه .

ولم يزد حرفاً واحداً ..

★ ★ ★

صافح (جون بدروس) (أدهم صبرى) في حرارة ، في مطار (باراجواى) ، وقال وهو يتطلع إليه في تقدير واحترام :

- يسعدنى كثيراً أن تعرفت رجلاً مثلك يا سنيور (أدهم) ، ومن دواعى فخري أننى عملت يوماً إلى جوارك ، فمن النادر أن يلتقى المرء برجل مثلك ، فى عمره كله ، والواقع أننى أحسد (مصر) ، لأنك أهد أبناءها ، الساهرين على سلامتها وأمنها .
قال (أدهم) :

- أشكرك كثيراً يا سنيور (بدروس) ، وأهنئك على القرار الذى أصدره الرئيس (بونزا) بتعيينك رئيساً للمخابرات ، بدلاً من الخائن (جوانزاليس) .. لقد وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب بالفعل .

تتهجد (بدروس) ، وهو يقول :

- عد إلينا مرة ثانية يا سنيور (أدهم) ، وتذكر دائماً أن (باراجواى) هى وطنك الثانى ، وأننا متحنك تأشيرة دخول مفتوحة : لتزورنا فى أية لحظة .

هتفت (جوانيتا) :

- ألا تبقى معنا قليلاً ؟ .. ابقى أسبوعاً أو أسبوعين .

هز (أدهم) رأسه ، وهو يقول :

- كنت أتمنى أن أفعل يا (جوانيتا) ، ولكن هناك من يحتاج إلى الآن ، وعلى وجه السرعة .

سأله فى فضول :

- أتقصد وطنك ؟

ابتسم دون أن يجيب ، ولكنه لم يكذ يستقل الطائرة ، مغادراً (باراجواى) ، حتى راح قلبه يخفق فى عنف ، وكيانه كله يهتف باسم واحد ..
- اسم (منى توفيق) ..

★ ★ ★

تحرك عدد من الأطباء والممرضين في توتر واضح ،
في الطابق الثالث من مستشفى (نيويورك) ، حيث قسم
حالات الغيبوبة المزمنة ، واستوقف (قدرى) أحد الأطباء ،
وسأله في انهيال :

- هل ساءت حالتها إلى هذا الحد ؟

أجاب الطبيب في اضطراب واضح :

- إننا لم نعد نفهم حالتها .. لقد تضاعفت شدة إشارات
المنخ ، حتى بلغت حدًا غير طبيعى ، ومعدلات النبض
والتنفس فى ارتفاع متزايد .

ثم تركه ، وأسرع إلى حجرة (منى) ، التى اجتمع فيها
فريق الأطباء ، وعلى رأسهم الدكتور (أحمد صبرى) ،
الذى يقول فى توتر :

- لم أشاهد هذه الأعراض قط من قبل .. كيف يتزايد
نشاط المنخ ، وتظل المريضة فى حالة غيبوبة .

أجابته طبيبة شابة :

- إنه ليس نشاطًا تقليديًا يتزايد ، وإنما هو نوع من

الاضطراب العصبى ، كما لو أنها تمر بمرحلة قلق وتوتر
شديدة .

هتف طبيب آخر :

- ماذا لو أنها تعاني بعض انكوابيس ؟

قالت الطبيبة فى دهشة :

- كوابيس ؟ .. ولكن لم يثبت أبدًا أن انفارقين فى

الغيبوبة المزمنة ، يمكنهم أن يحلموا ، أو يصابوا

بالكوابيس .

استمع (قدرى) إلى أحاديثهم ، وراح قلبه يبكى بدموع

من دم ، وهتف فى أعماقه :

- أين أنت يا (أدهم) ؟ .. أين أنت ؟

لم يكذ الهتاف يتردد فى عقله ، حتى شعر بيد توضع

على كتفه ، فاستدار بسرعة إلى صاحبها ، وهتف فى

حرارة :

- (أدهم) .. حمدًا لله على سلامتك يا صديقى .. لقد

كنت أدعو الله الآن ، أن يرسلك إلينا .

سأله (أدهم) فى توتر :

- ماذا أصاب منى ؟

قلب (قدرى) كفيه ، وهو يقول :

- لا أحد يدري .. إنها هكذا منذ يومين ، وبعضهم يقول

إنها .. إنها ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فهتف فى مرارة :

- إنها تحتاج إليك بشدة يا (أدهم) .
صمت (أدهم) لحظات ، استجمع خلالها كل مشاعره
وانفعالاته في أعماقه ، ثم تمتع :
- أعلم هذا يا صديقي .. أعلم هذا .
قالها وفتح باب الحجرة ، وقال في نهضة حازمة امرأة :
- اتركونا وحننا أيها السادة .
التفت إليه الجميع في دهشة ، وهتف أحد الأطباء :
- من هذا الرجل ؟
ولكن الدكتور (أحمد) نهض قائلاً :
- اترك الحجرة .. هيا .. نفذوا ما طلبه الرجل .
هتفت الطيبة الشابة :
- كيف ننفذ ما طلبه ؟! .. إنه لا يبدو أشبه بالأطباء ..
من هو بالضبط ؟
تطلع الدكتور (أحمد) إلى شقيقه ، وقرأ تلك النظرة
الصارمة في عينيه ، فهتف :
- حسن .. أنا رئيس الفريق الطبي الآن ، والمسئول
الأول عن هذه الحانة ، وأنا أطلبكم جميعاً بالخروج .
غادر الأطباء الحجرة في صمت ساخط ، وتجمعوا عند
الجدار الزجاجي ، في محاولة لرؤية ما يحدث داخلها ، في
حين توقف الدكتور (أحمد) أمام شقيقه لحظة ، وغمغم :
- حمداً لله على سلامتك .

وأسرع يغادر الحجرة بدوره ، ويغلق بابها خلفه ..
وثلاثون ، وقف (أدهم) صامثاً ، يتطلع إلى (منى) ،
ثم اقترب منها في بطء ، وقبض على راحتها بأصابعه في
رفق ، ثم انحنى يهمس في أذنها :
- أنا هنا يا حبيبتي .. وما زلت أحبك ، وسأنتظر
عودتك إلّى ، حتى آخر لحظة في حياتي .
همس بالعبارة بكل ما تحمله مشاعره من حب وحنان
وأسى وهيام وحزن ، وعلى الرغم من أن ملامحها ظلت
على جمودها وثباتها ، إلا أنه كان وثاقاً من أن عبارته
ومشاعره قد بلغا قنيتها ..
وفي الخارج ، هتفت الطيبة الشابة في ذهول :
- انظروا .. كل المعدلات تعود إلى طبيعتها .. النبض ،
والتنفس ، وحتى إشارات المخ !
اتسعت عيونهم جميعاً في دهشة بالغة ، وتعمم الدكتور
(أحمد) :
- مستحيل .. إنها معجزة !!
أغرقت الدموع وجه (قدرى) ، وهو يبتسم قائلاً :
- بل هي تلك اللغة ، التي ترفض الاعتراف بوجودها .
وألقى نظرة طويلة على (أدهم) ، الذي جلس على

المقعد المجاور لـ (منى) ، واحتفظ بكفها بين أصابعه في
حنان ، قبل أن يستطرد بصوت متهدج ، يحمل رنة سعادة
حالية :

- لغة المحبين .
وانهمرت بموعته أكثر .

www.liilas.com/vb3
eman

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩
